

المتوفى سنة ٣٣١ هجرية

الطبعة الاولى سنة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

طبع بنفقة المكتبة العربية — ببغداد
لصاحبها نعمان الأعظمي

طبع بمطبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر

عنى بتصحيحه وتحقيقه ومراجعة أصله وصدره بمقدمة
وصنع فهارسه حضرة الأستاذ الفاضل

عبد الله إسماعيل الصاوي

صاحب دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف
بشارع درب الجماميز رقم ١٠٣ بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على آلائك ، ونشكرك على جزيل نعمائك ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد خاتم رسلك وأنبيائك .

وبعد فى هذه الطبعة المتواضعة نقدم للباحثين أثراً من أنفس الآثار ، فيه أدب وتاريخ لجماعة الكتاب والوزراء منذ البعثة المحمدية حتى أوائل خلافة المأمون عبد الله بن الرشيد الخليفة العباسى ، ذلك هو كتاب الوزراء والكتاب

وضعه مصنفه العالم النابه أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى الجهشيارى المتوفى سنة ٣٣١ هـ الموافقة لسنة ٩٤٢ م وقد سبق أن نشر الكتاب فى طبعة أروبية بعناية الأستاذ هانز منريك ، بطريقة الريتوغرافور . مطابقا لأصله خطا وصورة ؛ من نسخته المحفوظة فى دار الكتب الوطنية بمدينة فينا تحت رقم ٩١٦ . وقد ذكر أنها وحيدة لا يعرف غيرها فى بلد من البلاد .

وطبعه بمطبعتى ماكس يافى وآدولف هولزهوزن فى سنة ١٣٤٥ هـ وهى ١٩٢٦ م وصدره الناشر بمقدمة وفهرس وبين ما تحويه أبوابه باللغة الألمانية بيانا موجزا . وأضاف ملاحظاته إلي الفهرس

ولقد أحسن الأستاذ هانز منريك كثيرا حين عمد إلى طبعه بتلك الطريقة التى مثلت الأصل خير تمثيل ، حتى ان الناظر اليه لا يشك فى أن الطبعة التى أخرجها هى بعينها تلك النسخة المخطوطة الوحيدة المودعة مكتبة فينا

على أن طبعه بتلك الطريقة لم يفد إلا كبار العلماء والباحثين ، وذوى الدراية بالخطوط القديمة ، فأما من عدا أولئك ، فهيهات أن يقرءوه قراءة صحيحة ، أو يتهدوا الى معرفة كلمات كثيرة فيه ؛ لعسر الخط وقدمه ، وخروج الكاتب فى كثير من الأحيان عن إلف المعاصرين فى الخط والرسم ، وذلك وحده هو ما حدا بى الى طبعه

ولقدكان من نتائج هذا العسر أن مطبعة الحلبى حين تعرضت لطبعه بالحروف فى خلال هذا العام ، وعهدت بتصحيحه الى الاساتذة الافاضل مصطفى السقا وابراهيم الابيارى . وعبد الحفيظ شلبى لم تخل طبعتها من تحريفات كثيرة شائنة ، شوهت الكتاب وأضاعت الثقة منه على جمال طبعه وحسن اختيار ورقه ، فزلت بالمصححين أقدامهم ، وتشابهت عليهم الحروف . واختلطت الكلمات بل عزب عنهم فهم كثير من العبارات ، فحرفوا وعمدوا الى تغيير تلك الكلمات ليصح لهم المعنى الذى فهموه وذهبوا اليه وحسبوه صوابا ـ ذلك الى أنهم حذفوا كلمات ، وزادوا أخرى

ولعل الخوف من التورط فى بعض هذا هو ما حدا بالناشر الأروبى الى نشره كما هو ، مصورا بالريتوغرافور

ولو أننا عرفنا كمية ما يصححه الأستاذ السقا من الكتب المدرسية فى الزمن السريع مع ما هو فيه من عناء التدريس بالجامعة المصرية لما وسعنا إلا أن نكبر الأستاذ ونجد له من ذلك أوسع العذر وليس الأستاذ أول من صحف وتصرف ، ولا أنا أول من نقد وعرف

فقد صنف كثير من الناس كتبا فى نقد علماء أفذاذ ، نذكر منهم ابن

دريد والخليل وسيبويه ؛ بينوا للناس فيها بعض ما أخذ عليهم من تصحيف وتحريف ولم تأخذهم فى الحق لومة لائم

وانى تلافيا لما حدث من تفريط فى نشر هذا الكتاب ، أخذت على نفسى معارضة طبعتهم على الأصل الريتوغرافى واحصاء مافيهامن خلاف فى كتيب صغير أصدره قريبا إن شاء الله على ان ذلك لن يحول بينى وبين وضع نماذج من هذا الخلاف

وأود أن يعرف القارىء الكريم عنى أننى لم أعرض لهذا تحاملا ولا رغبة فى النيل منهم ، وإنما دفعنى اليه رعايتى لحق العلم ، وهو أجل ما يحرص ويغار عليه ، وتأسياً بمن سبقنى من نقدة العلماء والكتاب ، وأن الله أخذ على العلماء فى علمهم ميثاقا ، أن يبينوه للناس ولا يكتموه

وهذه نماذج من تلك الأغلاط أذكرها فيما يلى :

فى صفحة ١٧٢ فى السطر الثامن ، فلم تفرق الأيام بيننا حتى كسبت به عشرين ألف درهم — والصواب كما فى الأصل عشرين ألف ألف درهم ، لأنه ذكر أنه أفاد منه أولا خمسمائة ألف درهم ثم أفاد من عامله خمسين ألف درهم فها هو يفيد فى صفقة واحدة خمسين وخمسمائة ألف درهم فكيف يستقيم أن يتناقص مجموع ما أفاده طوال اتصاله به إلى أن صار عشرين ألف درهم .

وفى صفحة ١٦٠ فى السطر الثامن فأتمنى يداً خاطئة تصيبنى [ ] فأعفى . قالوا إن بين المربعين [ ] كلمة غير واضحة ضرب عليها الناسخ ، ولو أنهم أنعموا النظر قليلا لوجدوا أن تلك الكلمة « فى طريقى » وهي كالشمس واضحة لمن يتأمل

وفى صفحة ١٦٢ فى سطر ١٠ رضى البال والصواب كما فى الأصل رخى اشتبهت عليهم الخاء بالضاد

وفى صفحة ١٦٨ فى سطر ٥ وهو – أى المهدى – بإرد والدار ، وقد علقوا عليها بما لاطائل تحته »والصواب بالرذ والراق موضع بأرض ماسبذان من الجبال كانت وفاة المهدى بها« وليراجع التنبيه والاشراف للمسعودى صفحة ٢٩٦ ومعجم ياقوت فى الرذ

وفى صفحة ٢٤٣ فى السطر ٢٠ حتى عدد أربعة [عشر] شيئا والصواب كما فى الأصل أربعين شيئاً

وفى صفحة ٢٤٦ فى سطر ٥ فاحتلنا فى شرى اللحم والصواب« شراء »وفى سطر٦ حتى إذا وصل جميع ذلك لنا والصواب كما فى الأصل حتى إذاوصل جميع ذلك « إلينا » وفى سطر ١٣ ثم إن الرشيد بعث والصواب كما فى الأصل ثم إن الرشيد « وجه »

وفى صفحة ٢٤٧ س ٦ من منا والصواب من « منى » اسم مكان وفى سطر ١١ لابد من إعلان مسرور والصواب « من اعلام » وفى سطر ١٢ أن يتأدى إليه وكتب إليه الخبر وكتب بالخبر إلى مسرور »والصواب كما فى الأصل « أن يتادى إليه الخبر وكتب بالخبر إلى مسرور » وفى سطر ١٢ فان عندى خادمين مملوكين روميين وفى الأصل مسلولين وقداعترفوا بأنهم حرفوهاوقالوا نعتقدأنها محرفة عما أثبتناه إلى مملوكين ، والصواب مسلولين أى سلت مذا كيرهما بدليل أنه أمر بادخالهما إلى دار النساء وفى سطر ١٩ هات ما أمكنك والصواب هات ما أمكن

وفى صفحة ٢٥٠ س ١٥ وكسى الغلامين والأولى وكسا الغلامين إملاء ومتابعة للأصل

وفى صفحة ٢٥٧ س ٣ أمر ببغلته فشدت ، وقد اعترفوا أيضاً بأنهم حرفوها عن الأصل فهى فيه بسلته ، قالوا ولم نفهم لها معنى هنا ، والمعنى ظاهر بل لا معنى لذكر البغلة أبداً لأنه يريد بالسلة وعاء يوضع فيه بعض الأمتعة العامة من

المصريين يستعملون السلال وهو بالسلة أشبه ويرادفها فى الفصيح الجونة ، وهى وعاء يغشى جلدا .

وفى صفحة ١٨١ س ١١ ثم ذكرت صبية ما وضعت يدها على العود ، وقد ذكروا أنها فى الأصل كما ، وقالوا السياق يقتضى ما النافية ، وقالوا لعلها محرفة عن قلما ، والصواب كما فى الأصل ، والمعنى أنها لم تتقدم فى الغناء على العود بل حالها كحالها يوم وضع يدها على العود

وفى صفحة ٢٠٢ س ١٠ ما وقع غبار موكبى والصواب كما فى الأصل مركبى

وفى صفحة ٢٠٢ يابنى انتق من كل علم شيئاً والصواب انتف من كل علم شيئا كما فى الأصل

وفى صفحة ٢٢٩ سطر ٣ وبرذونين حطمين ، وقالوا إن الأصل حطيمين ؛ ولا أدرى ما الذى دعاهم إلى العدول عنها ومخالفة الأصل

وفى صفحة ٢٣٣ س ٣ لكان ذلك أصلح ، والصواب كما فى الأصل لكان فى ذلك صلاح

وفى صفحة ٢٣٨ س ٢٤ قال انت الحرباني ، والصواب الحرانى نسبة إلى حران على غير قياس

وفى صفحة ٢٤٠ س ٦ ان لقمان قال لأبيه ، والصواب كما فى الأصل لابنه وفى سطر ١٨ ولا يناله بمكروه فى نفسه ولا فى شىء من ماله . والصواب كما فى الأصل ولا يناله بمكروه فى نفسه ولافى ولده الخ وفى سطر ٢١ أن أخذ من خزائنه والصواب أن أخذ فيما أخذ من خزائنه وفى صفحة٢٥٧ س ٤ إن سليمان قد صرفك عن الديوان وفى الأصل صرفك من الديوان وهو ليس خطأ فيعدل عنه . وفى سطر ١٢ عن اسماعيل بن بكر بن عياش والصواب عن اسماعيل بن أبى حنيفة عن أبى بكر بن عياش

وفى صفحة ٢٦٠ س ١١ ولم تنلها والصواب ولم تنلها وفى سطر ١٦ فقال

قالها البارحة والصواب فقال لى قالها البارحة وفى سطر ٢٠ أيمانا أكرها والصواب أيمانا أؤكدها وفى سطر ٢٢ وموالاة من وثق بموالاته والصواب وموالاة من وثق بموالاته له

وفى صفحة ٢٦٢ س ٦ وكان صاحب سلم بن زياد إلى خراسان والصواب والى خراسان وفى سطر ١٢ ذوى الدهر والصواب زوى الدهر وفى سطر ١٣ يرفلن فى الكسى والصواب الكسا

وفي صفحة ٢٦٧ س ١٤ فهدمناها وجعلناها كأنها رحبة والصواب وجعلنا مكانها رحبة

وفى صفحة ٢٧٠ س ٥ وانتسب إلى الحسين بن على والصواب الحسن بن على وفى سطر ١٥ ومعه توقيع الرشيد والصواب توقيع من الرشيد وفى سطر ٢١ فتزل وعسكر والصواب فنزل فى معسكره

وفى صفحة ٢٧١ س ١٧ ووجهه إلى المغرب والصواب ووجهه إلى المضرب وفى صفحة ٢٧٣ س ٧ فلما ترك بكر بن المعتمر عسكر الرشيد والصواب فلما ورد وفى سطر ١١ قال عبد الله بن عبد الله بن طاهر والصواب قال عبيد الله

وفى صفحة ٢٧٤ س ١٤ وعملت على الاقرار والصواب على الاعتراف وفى سطر ١٥ وقرابته الذى كان معه والصواب والذى كان معه وفى سطر ١٨ فان الله أعلم والصواب فان الله يعلم

وفى صفحة ٢٧٨ سطر ١١ حتى تصير لى والصواب إلى ، وفى سطر ١٣ وما يجب من الوفاء ، والصواب وما يجب عليهم من الوفاء

وفى صفحه ٢٨١ سطر ٢ ولكنهم يموتون والصواب يؤتون

وفى صفحة ٢٨٣ سطر ٧ ثلاثة فيلة والأصل أفيلة وهو صحيح فلا يعدل عنه

وفى صفحة ٢٨٤ الف نقرة والصواب ألفا نقرة

وفى صفحة ٢٨٦ سطر ٧ البز والطيلسان جعلوها متاعا . والصواب كما فى

الاصل التتر والطيلسان اسما مكان بدليل ان الناسخ وضعهماوسط السطر كعادته ،

هذا إلى أنهم رقموا البلاد التى يجبى منها ، خروجا على الاصل ثم لم يشيروا إلى أن الترقيم من صنيعهم ، وهذا مخل بالامانة العلمية

وفى صفحة ٢٨٧ سطر ٩ ثلاث مئة ألف وعشرون آلاف دينار ، والصواب ثلاثمائة ألف وعشرون الف دينار ، وفى سطر ١٢ والاشمون والصواب الاشمونين

وفى صفحة ٢٩٤ سطر ٤ عبد الرحمن الابناوى والصواب الانبارى ، وفى سطر ٧ لاينكر زوال نعمة والصواب لايذكر

وفى صفحة ٣٠٣ سطر ٣ وقال انفقها ، والصواب وقال له انفقها

وفى صفحة ٣٠٤ سطر ١٤ ورداه رده ، والصواب ورداه رداء

وفى صفحة ٣١٠ سطر ٢ وبين الأمين اعزه الله والصواب الأمير

وفى صفحة ١٤٣ سطر ١٢ ولا يصون قدره والصواب ولا يصون عرضه من قذره

فهذه أخطاء ذرفت على الستين ولم يتجاوز ثلاثين صفحة في كتاب يبلغ ٣٢٠ صفحة وفى ذكر هذه الأخطاء كفاية ومقنع بأنهم فرطوا فى الكتاب تفريطاً يندر أن يوجد له مثيل ، حتى فى كتب الاقاصيص التى ينشرها العوام

ذلك إلى أنهم أهملوا خبراً فى الصفحة الأخيرة ، وقالوا إنا لم نستطع قراءته ولذلك تركناه ، وياليتهم تركوا بقية الصفحة لأنهم حرفوها كثيرا

ونحن والحمد لله قد وفقنا إلى قراءتها قراءة صحيحة بل لم نجد عسراً فى ذلك ، وإن من قضى السنين الطوال فى قراءة كتب انماط قديمه وحديثه لن يعسر عليه قراءة هذه الصفحة التى بقيت منها كلمات وأطراف حروف تبين المراد منها

ولقد كان أولى للمطبعة وخيراً لها لو نشرته مصورا كما نشره ذلك الأعجمى الأوربى الذى اتخذه أساتذتنا حجة ! وما أقبح بالعربى لسانا وبيئة أن يتخذ من الأعجمى حجة فى تصحيح بعض ما خفى عليه وإنه لعلى ذلك الأعجمى أشد خفاء بل كان أولى للمطبعة أن تعمل بقول الشاعر الحكيم

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وكتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى مرجع معدود بين المراجع العربية فى التاريخ الحافلة بالحوادث التاريخية التى لم تقع عليها عين باحث اللهم الا نتفا صغيرة وأخبارا قصيرة نجدها فى عيون كتب التاريخ يعزوها الى الجهشيارى المؤرخون الامناء أمثال المسعودى فى كتاب مروج الذهب والقاضى شمس الدين بن خلكان فى كتاب وفيات الاعيان ، والصفدى حين عمد الى الوزراء والولاة عند العرب ، وياقوت الرومى فى معجم الادباء

وفى الفخرى لابن طباطبا نقول كثيرة منه ، لكنه خالف ثقات المؤرخين وأثمتهم فأغفل نسبتها الى الجهشيارى ، ولم يذكر أنه نقل عنه ، بل أنه اتبعه واقتدى به فى وضع كتابه الفخرى .

وقد ألف العلماء فى تأريخ الكتاب والوزراء كتبا كثيرة عرف منها قبل عصر الجهشيارى وبعده كتاب الوزراء وأخبارهم لابى الحسن على بن الحسن المعروف بابن الماشطة وبلغ فى تصنيفه الى آخر أيام الراضى بالله وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطى الكاتب فى أخبار الوزراء . ومن قبله كتاب محمد بن داود بن الجراح ، وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى أخبار عدة من وزراء المقتدر

ويذكر العلماء أن كتاب الجهشيارى أجل هذه المصنفات وأكثرها فائدة والجهشيارى يذكر انه اطلع على كتاب الوزراء لابن الجراح وكتاب أخبار الخلفاء للحارث بن أبى اسامة

ونحن حين نجد فى ترجمة الفضل بن سهل خبرا يرويه ابن خلكان

ويذكر انه اخذه من كتاب الوزراء للجهشيارى ثم لانجده فى هذا الكتاب لا نشك فى ان هذا الكتاب قسم منه لا كله ولا سيما اذا اضفنا الى ذلك أن قول الكاتب فى آخر الكتاب (وهذا آخر ما اردناه والله اعلم بذاك قد تم الكتاب بعون الله ٥٤٦) كتب أخيرا بدليل مغايرة الخط ولأن ما اصاب الورقة الاخيرة من رطوبة وبلل ازال كثيرا من معالم الحروف لم يؤثر فى هذه الفقرة البتة

هناك مرجح آخر هو أن الجهشيارى انتهى فى هذا القسم الى وزارة الفضل بن سهل للمأمون ؛ وقد كان بين ذى الرياستين وبين موت الجهشيارى فى خلافة الراضى وزراء يبلغ عددهم ستة وثلاثين وزيرا ، من المحقق أن الجهشيارى قد رآها كلها وشاهدها ، والمظنون أنه كتبها بتوسع واسهاب

وابن خلكان يقول وقد صنف أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشيارى أخبار المقتدر فى ألوف من الأوراق ، ووقع لى منها أجزاء كثيرة وأخبرنى غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر فى ألف ورقة — فاذا كانت أخبار خليفة واحد استدعت ألف ورقة فى رواية ، وألوف الورقات فى أخرى فما بالنا بأخبار عدة خلفاء ووزرائهم ؟

على أنه يحسن ان ننظر فى الأمر من ناحية أخرى وان لا نتابع الشك فى وقوف المؤلف عند هذه الغاية

فلعل المؤلف اقتصر على من مات من الوزراء تاركا الاحياء والمعاصرين ؛ جريا على سنة أكثر المؤرخين أو مخافة أن يصيبه ضرر عاجل ان ارخ للاحياء فقد عرف عن الوزراء أنهم كانوا قديما يكرهون

أن الملوك يقفون على شيء من السير والتواريخ خوفا أن يتفطن الملوك الى أشياء لا يحب الوزراء أن يتفطن لها الملوك

جاء في الفخري : طلب المكتفي من وزيره كتبا يلهو بها ويقطع بمطالعتها زمانه فتقدم الوزير الى النواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله الى الخليفة فحصلوا شيئا من كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الايام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الاموال ، فلما رآه الوزير قال لنوابه والله انكم أشد الناس عداوة لي أنا قلت حصلوا له كتبا يلهو بها ويشتغل بها عني وعن غيري . فقد حصلتم له مايعرفه مصارع الوزراء ويوجده الطريق الى استخراج المال ويعرفه خراب البلاد من عمارتها . ردوها وحصلوا له كتبا فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه ![1]

ومع أن الجهشياري مؤرخ فذ ، فان معظم كتب التاريخ خلت من اسمه أو الترجمة له : فلم يذكر اسمه إلا عند النقل عنه في مثل ابن خلكان وياقوت ويقول ابن النديم : الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس أحد الكتاب الأخباريين المترسلين ، وله من الكتب كتاب الوزراء والكتاب وكتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض[2]

وجاء فيه أيضا : ابتدأ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته ، لا يعلق بغيره وأحضر المسامرين ، فأخذ عنهم أحسن مايعرفون ه ويحسنونه واختار

---

١) انظر الفخري ص ٤ ، ٥   ٢) انظر ص ١٢٧ طبع اوربا

من الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات مايحلى بنفسه ، وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة ؛ سمر تام يحتوى على خمسين ورقة ، وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء مافى نفسه من تتميمه ألف سمر ، ورأيت من ذلك عدة اجزاء بخط ابى الطيب الشافعى ـ وراقه ـ[1]

وفى كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للمحسن بن على التنوخى : وكان ابن عبدوس الجهشيارى الذى ألف كتاب الوزراء قائما على رأس على بن عيسى لأنه كان يحجب ابا الحسن ، وكان ابوه من قبله مضموما اليه رياسة الرجال برسم على بن عيسى الوزير وكان يحجبه ايضا[2]

وابن خلكان يقول : وأحضر ـ ابن مقلة ـ ابن أبى عون وابن عبدوس[3] معه ـ أى مع ابن الشلمغانى ـ عند الخليفة فأمرا بصفعه فامتنعا . فلما أكرها مد ابن عبدوس يده فصفعه ، وأما ابن ابى عون فانه مد يده إلى لحيته ورأسه وارتعدت يده وقبل لحية ابن الشلمغانى ورأسه وقال إلهى وسيدى ورازقى فقال له الخليفة الراضى بالله : قد زعمت أنك لاتدعى الالوهية فما هذا ؟ فقال وما على من قول ابن أبى عون والله يعلم أننى ماقلت له أننى إله قط فقال ابن عبدوس انه لم يدع الالهية ، انما ادعى أنه الباب الى الامام المنتظر ثم احضروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة وفى آخر

---

١) انظر فهرست ابن النديم ص ٣٠٤ ٢) انظر مجلة المجمع العلمى بدمشق ص ٢٠٣ من المجلد العاشر ٣) من هنا يظهر أن ابن عبدوس كان مشايعا لابن الشلمغانى

الأمر افتى الفقهاء بإباحة دمه فاحرق بالنار فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة [1]

وقال ابن الاثير فى حوادث سنة ٣١٧. وسار حاج العراق الى مكة على طريق الشأم فوصلوا الى الموصل أول شهر رمضان ثم منها الى الشأم لانقطاع الطريق بسبب القرمطى ومعه كسوة الكعبة مع ابن عبدوس الجهشيارى لأنه كان من اصحاب الوزير

وابن مسكويه يقول أيضاً :

وسعى بأبى عبد الله بن مقلة فوجد وقبض عليه ووجد عنده خطوط أبى على فى رقاع ، فحمل الى دار الوزير أبى جعفر فسأله عمن كان يوصل اليه الرقاع فذكر أن ابا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى كان ينفذها اليه ، فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عما يعرفان من خبر أبى على ابن مقلة ، فحلفا انهما لا يعرفان له خبراً منذ أستتر ، وعرف القاهر انهما من قواد السلطان وسهل امرهما ولم يستترا ، وكانا يركبان امام المواكب الى دار السلطان [2]

وورد اسم ابن عبدوس فى كتاب الأوراق للصولى فى ثلاثة مواضع لكنه لم يذكر مع لفظ الجهشيارى قال الصولى : فى حوادث سنة ٣٢٤ وقبض على أبى عبد الله بن عبدوس وصودر على مائتى ألف دينار فتكلم سعيد بن عمرو فى حطيطته والوزير يخالفه حتى شرق الأمر بينهما ، فكان ذلك سبب زوال الكرخى وادى ألف دينار وأطلق [3]

---

١) انظر ابن خلكان   ٢) انظر تجارب الامم ص ٢٦٩ ج ١

٣) انظر الاوراق للصولى طبع دار الصاوى ص ٨٤ قسم أخبار الراضى والمتقى لله

وقال ايضا فى حوادث سنة ٣٢٥ . وهجم — اى الوزير الفضل بن الفرات — بعقب خروجه ـ اى الى الشام ـ على ابى عبد الله بن عبدوس ، وطولب بمال عظيم ، ثم تقرر أمره على خمسة عشر ألف دينار ، أخذت منه بألوف منها جارية مغنية كانت له ، وترك له من اجلها الباقى [1]

ويقول ايضا فى حوادث سنة ٣٢٨ وقبض على ابن عبدوس بسبب غلام له يقال له بديع كان فى جملة البريدى [2]

فحياة الجهشيارى غامضة واسمه اشد غموضا من حياته فلا ندرى كثيرا عن الجهشيارى ، بل لا ندرى شيئا عن هذه النسبة ، ولعلها مركبة من يار بمعنى محبوب وجوش بمعنى حماسة أو كوش بمعنى اجتهد ، أو لعل جهشيار اسم بلدة فى الفرس لم يذكرها مؤرخو البلدان ولعله اسم وظيفة ديوانية

ومات الجهشيارى سنة ٣٣١ كما يحدثنا ابو المحاسن بن تغرى بردى ويقول : وكان فاضلا رئيسا وله مشاركة فى فنون [3]

وبعد فهذا كل ماوقفت عليه من حياة الجهشيارى واخباره وارجو ان اكون قد قمت فى نشر هذا الكتاب ببعض مايجب على نحو العلم والعلماء ، كما ارجو ان اوفق دائما الى نشر غيره من الكتب العلمية التى تزيد فى ثروتنا التاريخية والأدبية وبالله التوفيق م

عبد الله الصاوى

---

١) انظر ص ١٠١ ٢) انظر ص ١٤٤ ٣) انظر النجوم الزاهرة

فهرس الكتاب حسب تبويب المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله محمد بن عَبْدوس الجَهْشِيارى فى كتابه المصنف فى أخبار الوزراء والكتاب

روى عن كعب الأحبار أنه قال : أول من وضع الكتابَ السريانى وسائرَ الكتب آدمُ عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ثم كتبها فى الطين ، ثم طبخه ، فلما انقضى ما كان أصابَ الأرضَ من الغرق وجد كلٌّ قوم كتابهم ، فكتبوه فكان إسماعيل وجدَ كتابَ العرب .

وروى أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم ، وروى أن أول من وضع الكتاب باللغة العربية إسماعيل بن إبراهيم ، وكان أولَ من نطق بالعربية فوضع الكتاب على لفظه ومنطقه .

وروى فى خبر آخر أن أول من كتب بالعربية ثلاثة رهط من تَوْلاَن[1] ، يقال لأحدهم مُرامر بن مُرَّةَ ، وأسلم بن سَدْرَة ، وعامر بن جَدْرَة

وروى أيضاً أن أول من كتب بالعربية من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان أول من [صنف] طبقات الناس وصنف طبقات الكتاب وبنى منازلهم جم شيد بن بجهار ، وكان لهراسيب بن كنا فرخان بن كيموس أول من دوَّن الدواوين وحصن الاعمال والحسبانات ، وانتخب الجنود وجد فى عمارة الارضين وجباية الخراج لأرزاق الجيش وبنى مدينة بَلْخ

أخبرنى عبد الواحد بن محمد أنه سمع محمد بن واضح يقول : رأيت بأصبهان

---

1) لم أقف على بلد اسمه تولان ، لكن ذكر ياقوت بولان موضع فى طريق الحاج وفى مروج الذهب أن اول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم عبد ضخم بن إدم بن سام بن نوح وكانوا يسكنون الطائف ، والتنازع كثير فى ذلك

كتباً قديمة للأكاسرة إلى عمالهم فى الخراج والعمارة ، صدورها : إذا كان الكتاب إلى جماعة (خُـلِّدْتم) وإذا كان إلى واحد (خُـلِّدت) ثم يذكر بعد ذلك ما يريد

وكان للأكاسرة أربعة خواتيم ، فكان على خاتم الحرب والشرط (الأناة) وعلى خاتم الخراج والعمارة (التأييد) وعلى خاتم البريد (الوحا) وعلى خاتم المظالم (العدل)[1]

وكان لملوك فارس ديوانان ، أحدهما ديوان الخراج والآخر ديوان النفقات فكان كل ما يرد فإلى ديوان الخراج ، وكل ما ينفق ويخرج فى جيش أو فى غيره ، ففى ديوان النفقات

وكان من رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن فى خدمتهم لِبْسة لا يلبسها أحد ممن فى غير تلك الطبقة ، فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف بلبسته صناعته ، والطبقةَ التى هو فيها . فكان الكتاب جميعاً فى الحضر يلبسون لبستهم المعهودة ، فإذا سافر الملك تزيوا بزى المقاتلة

وكانت ملوك فارس جميعاً تغلظ على من زوَّر أو نقش خاتما على خاتم الملك ، وتلحقه من العقوبة بأهل الجنايات العظام

وكانت ملوك فارس تسمى كتَّاب الرسائل تراجمة الملوك ، وكانوا يقولون لهم « لا تحملكم الرغبة فى تخفيف الكلام على حذف معانيه وترك ترتيبه ، والابلاغ فيه ، وتوهين حججه »

وكان الرسم جاريا فى أيام الفرس أن تجتمع أحداث الكتاب من نشأتهم بباب الملك متعرضين للأعمال ، فيأمر الملك رؤساء كتَّابه بامتحانهم والتفتيش

---

١) عبارة المسعودى فى المروج « وكان له أى كسرى خواتيم أربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه (العدل) وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه (العمارة) وخاتم للمعونة فصه ياقوت نقشه (التأنى) وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه (الرجاء)

عن عقولهم ، فمن رُضى منهم عرض عليه اسمه وأُمر بملازمة الباب ليستعان به ثم أمر الملك بضمهم إلى العمال ، وتصريفهم فى الأعمال ، وتنقلهم على قدر آثارهم وكفاياتهم من حال إلى حال حتى ينتهى بكل واحد منهم إلى مايستحقه من المنزلة ، ولم يكن يتهيأ لأحد ممن عرفه الملك وعرض عليه اسمه أن يتصرف مع أحد من الناس إلا عن أمر الملك وإذنه

وكانت الملوك تقدّم الكتاب وتعرف فضل صناعة الكتابة وتحظى أهلها لما يجمعونه من فضل الرأى إلى الصناعة ، وتقول : هم نظام الأمور وكمال الملك وبهاء السلطان ؛ وهم الألسنة الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم

وكان ملوك فارس إذا أنفذوا جيشاً أنفذوا معه وجهاً من وجوه كتابهم ، وأمروا صاحب الجيش ألا يحل ولا يرتحل إلا برأيه ، يبتغون بذلك فضلَ رأى الكاتب وحزمه ، ثم يقول الملك للكاتب المندوب للنفوذ معه « قد علمتَ أن الاساورة سباع الانس ، وأنه لا عقوبة عليهم إلا فى خلع يد من طاعة أو فشل عن لقاء أو هرب عن عدو، وما سوى ذلك فلا لوم عليهم فيه ، وعليك أعتمد فى تدبير هذا الجيش »

فينفذ الكاتب مدبراً له ، فاذا احتاج إلى مكاتبة باعذار أو إنذار أو إخبار أو استخبار كتب فيه عن صاحب الجيش

وكان ملوك فارس قبل أنو شروان يقاسمون الناس على ثمارهم وغلاتهم ، فكان أكثر مايأخذونه الثلث وأقله السدس ، ويأخذون فيما بين ذلك على قدر الشرب والرَّبع[1] فأمر قُباذ بن فيروز بمساحة الارض ، وعدد النخل والشجر وإحصاء الجماجم[2] وعزم على وضع وضائع الخراج فهلك قبل تمام ذلك

١) الشرب الماء والربع الدار ٢) الجماجم الرءوس ، والوضائع جمع وضيعة وهي ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور والضرائب

ولما ملك أنو شروان استتم المساحة والعدد ، وأحصى الجماجم ثم جلس مجلساً عاماً ، وأمر كتابه باحصاء جمل ذلك ففعلوا ، فخاطب الناس بما رآه من ذلك من وضع الخراج على جريان مامسح من الأرض وعلى ماعده من الشجر والنخل وما أحصى من الناس ، وأن يجبى ذلك فى ثلاثة أنجم فى كل أربعة أشهر الثلث ، واستشارهم فلم يشر أحد منهم بشىء ، فأعاد القول ثلاث مرات والناس صموت

فقام رجل من عُرْض[1] الناس فقال : أيها الملك أتضع الخراجَ الباقىَ على الانسان الفانى ، وعلى كبد تموت ، وعلى زرع يجف ونهر يذهب وعين تغور ؟!

فقال كسرى ياذا الكُلْفَة المشؤوم من أى طبقات الناس أنت؟ فقال أنا رجل من الكتاب .

فقال كسرى لكتابه اضربوه بالدوى حتى يموت ، فضربه الكتاب تبرؤا[2] إلى كسرى من رأيه حتى مات .

وقالوا نحن راضون بما صنع الملك ، فصنفت الوضائع على أصناف الغلات والنخل والشجر .

ووجدت فى عهد لسابور بن أردشير فصلا يخاطب فيه ابنه يقول « وزيرك يكون مقبول القول عندك ، قوى المنزلة لديك ، يمنعه مكانه منك وما يثق به من لطافة منزلته عندك من الخنوع لأحد أو الضراعة الى أحد أو المداهنة لأحد فى شىء مما تحت يديه ، لتبعثه الثقة بك على محض النصيحة لك ، والمنابذة لمن أراد غشك وانتقاصك حقك ، وان أورد عليك رأيا يخالفك ولا يوافق الصواب عندك فلا تجبهه جبه الظنين ولا ترده عليه بالتجهم، فيفت فى عضده ذلك ، ويقبضه عن إثباتك كلّ رأى يلوح صوابه، بل اقبل ما رضيت من رأيه ، وعرّفه ماتخوفت من ضرر الرأى الذى انصرفت عنه ، لينتفعوا بأدبك فيما يستقبلون النظر فيه ؛ واحذر كل الحذر من أن تنزل بهذه المنزلة سواه ممن يطيف بك من خاصتك

---

١) يقال فلان من عرض الناس اى من عامتهم ٢) فى ف تبريا وهى لغة ردية

وخدمك ، وأن تسهل لأحد منهم السبيل إلى الانبساط بالنطق عنك ، والافاضة في أمور رعيتك ومملكتك ، فانه لا يوثق بصحة آرائهم ولا يؤمن الانتشار فيما أفضى من السر اليهم »

ومن هذا العهد فصل قال فيه « واعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج ودروره بعمارة البلاد ، وبلوغ الغاية في ذلك يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم والمعاونة لهم ، فان بعض الأمور لبعض سبب ، وعوام الناس لخواصهم عدة وبكل صنف منهم الى الآخر حاجة ، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك وما يكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية ، وأسند الى كل امرىء منهم شقصا يضطلع به وتمكنه الفراغ منه فان اطلعت على أن أحداً منهم خان أو تعدى فنكل به وبالغ في عقوبته

واحذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلا البعيد الصوت ، العظيم شرف المنزلة ، ولا تولين أحداً من قادة جندك الذين اتخذتهم عدة للحرب وجنة من الأعداء خراجا ، فلعلك أن تهجم من بعضهم على خيانة الأموال وتضييع العمل فان سوغته المال وأغضيت له على التضييع كان ذلك هلاكا للمال ، وإضرارا بالرعية وداعية إلى فساد غيره ، وإن أنت كافأته على فعله استفسدته وأذهبت بهاءه وأضغنت صدره ، وهذا أمر توقيه حزم والكلام عليه خُرق ، والتقصير فيه عجز .

ثم اعلم أنه اذا تعاظم جمع الأموال من غير الجهة التي تعود أخذها منها اشتد ركونه إلى الدنيا ، وصار طلبه الأموال من غير الوجه الذي قرب به وأعطى عليه . وليس شيء أفسد لسائر العمال والكتاب ، ولا أدعى إلى خراب أماناتهم وهلاك ما تحت أيديهم من جهالة الملك وقلة معرفته بعمالاتهم ، وتركه مكافأة المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته ، فأكثر الفحص عن عمال الخراج وسيرهم وآثارهم ، واختر لذلك العيون الموثوق بهم .

واعلم أن من أهل الخراج من يلجىء بعض أرضه وضياعه إلى خاصة الملك وبطانته ، لأحد أمرين أنت حرى بكراهتهما[1] ، أما الامتناع من جور السلطان وظلم الولاية ، فتلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك واخلاله بما تحت يده ، وأما لدفع مايلزمهم من الحق والكسر له ، فهذه خلة يفسد بها أدب الرعية وتنتقص الملك ، فاحذر ذلك وعاقب الملجئين والملجأ اليهم »

وفصل من كتاب لأردشير يخاطب به وزراءه

« اعلموا أنكم إن هممتم أن لاتستعينوا إلا بمن تكاملت فيه الخصال الرضية وأحرز المذاهب المحمودة ، فقد رمتم شيئا عسيراً غيرموجود ، فا كتفوا من دين المرء وورعه ، بأن يكون للكبائر والفواحش مجتنباً ، ومن الاصرار على العسف والظلم مستوحشا ، ومن أمانته وعفافه، أن يكون عن ما يعرض له من طمع وأمر فى دخوله ظاهر نقص أوضرر متنزها ، ومن غنائه ونفاذه، أن يكون بالعمل الذى تستعينون به فيه مضطلعا ، وأن لا يضيع لكم فيما يلى من أموركم حقا

واعلموا أن لكم أعمالا يكفيكموها من دونكم ، وأعمالا لايضطلع بها سواكم ، فاعرفوا حدود ذلك ، ولا تتكلفوا ما يكفيكموه من تحت أيديكم ، ولا تكلفوا مايجب عليكم النظر فيه من سواكم ، فان حدث لكم فراغ بعد قضائكم ما عليكم فاستعينوا بالتودع والراحة على ساعات الشغل »

وكان بشتاسب يقول للكتاب « الزموا العفاف وأدوا الأمانة فى كل ما يفوّض إليكم ، واجمعوا على غرائزكم وعقولكم سماع الأدب ، واستعملوا المستفدتم من الأدب بما طبعت عليه عقولكم وليكن اجتباؤكم بالقسط والمعدلة . ولا تزينوا لنا ما لا يليق بنا الأحدونة به والإيثار له »

ولما ملك أبرويز بن هرمز جمع رعيته وخطب عليهم خطبة قال فى فصل منها

---

[1] فى ف بكراهتها والصواب ما ذكرناه

يخاطب وزيره :

« اكتم السر ، واصدق الحديث ، واجتهد فى النصيحة ، واحترس بالحذر ، فعلىَّ ألا اعجل عليك حتى استأنى ، ولا أقبل عليك حتى أستيقن ، ولا أطمع فيك فأغتالك »

وحكى أن الجور كثر فى أيام الملك أنو شروان فقال له موبذان موبذ : « أيها الملك إنى سمعت فقهاءنا يقولون إنه متى لم يغمر العدل الجورَ فى بلدة ابتلى أهلها بعدو يغزوهم ، وخِيف تتابع الآفات عليهم ، وقد خفنا ذلك بشىء قد فشا من جور أسبابك ، فنظر أنوشروان فى ذلك فاستقر عنده أن ظلما وجوراً قد جرى ، فصلب ثمانين رجلا منهم ، من الكتاب خمسون رجلا ، ومن العمال والأمناء ثلاثون رجلا »

وكانت الأكاسرة بعد أنو شروان تقول لأهل الخراج « من كره منكم الأداء إلى العمال فهذا بيت مالنا فأدُّوا إليه » فلم يكن عامل يبسط يده إلى ظلم أحد خوفا من عدول الرعية إلى بيت المال بأداء الخراج ، فيستدل بذلك على مذهبه ولم يكن يركب الهماليج فى أيام الفرس إلا الملك والكاتب والقاضى

وكان أرسطاطاليس أدّب الاسكندر ، فلما نشأ الاسكندر وعلا وعرف من أرسطاطاليس ماعرفه من الحكمة كان شبهَ الوزير له ، وكان يعتمد عليه فى الرأى والمشورة ، فكتب إليه يخبره أنه قد كثر فى خواصه وعسكره قوم ليس يأمنهم على نفسه لما يرى من بعد هممهم وشجاعتهم ، وشذوذ آلتهم . وليس يرى عقولا تفى بهذه الفضائل التى فيهم بقدر هممهم ، فكتب إليه أرسطاطاليس « فهمت ماذكرتَ عن القوم الذين ذكرت ، فأما هممهم فمن الوفاء بعد الهمة وأماماذكرت من شجاعتهم مع نُقص عقولهم ، فمن كانت هذه حاله فرفهه فى المعيشة ، واخصصه بحسان النساء ، فان رفاهة العيش يوهى الحزم ، وإن حب النساء يحبب السلامة ويباعد من ركوب المخاطرة ، وليكن خلقك حسنا تستدع به صفو النيات واخلاص

المقالات ، ولاتتناول من لذيذ العيش مالا يمكن أوساط أصحابك مثله ، فليس مع الاستيثار محبة ، ولا مع المواساة بغضة »

وأوصى أبرويز ابنه شيرويه وصية طويلة قال فى فصل منها :

« وليكن من تختاره لوزارتك امرءاً كان متضعا فرفعته ، وذا شرف كان مهتضما فاصطنعته ؛ ولا تجعله امرءاً أصبته بعقوبة فاتضع عنها ؛ ولا امرءاً أطاعك بعد ما أذللته ولا أحداً يقع فى خلده أن إزالة سلطانك خير له ، وأدعى إلى ثبوته ، وإياك أن تستعمل ضَرَعا غُمْراً ، ولا كبيراً مُدْبِرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه »

وكانت الفرس تقول « للوزير على الملك ، وللكاتب على الصاحب ثلاث خصال رفع الحجاب عنه ، واتهام الوشاة عليه ، وافشاء السر إليه »

وفى كتاب من كتب الهند إذا كان الوزير يساوى الملك فى المال والهبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك ، فان لم يفعل فليعلم أنه المصروع »

ومما أستحسنه من شدة التحرز ماحكى فى كتاب من كتب الهند أنه أهدى إلى بعض ملوكهم حلى وكسوة - وبحضرته امرأتان من نسائه ووزير من وزرائه - فخير إحدى امرأتيه بين اللباس والحلية ، فنظرت المرأة إلى الوزير كالمستشيرة له فغمزها باحدى عينيه على أخذ الكسوة ولحظه الملك ، فعدلت عما أشار به من الكسوة ، واختارت الحلى لئلا يفطن الملك للغمزة ؛ ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه ليظن الملك أنها عادة وخلقة

واستشار سابور ذو[1] الأكتاف وزيرين - كانا له - فى أمر من أموره ، فقال أحدهما لاينبغى للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً فانه أموت للسر ، وأحزم فى الرأى ، وأدعى إلى السلامة ، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ؛ لأن الواحد رهن بما أفضى إليه ، وهو أحرى أن لايظهره رهبة للملك ورغبة اليه ، وإذا كان عند اثنين فظهر

---

١) فى ف ذا والصواب ذو

دخلت على الملك الشبهة ، واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وإن اتهمها اتهم بريئاً[1] بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما عفا عن واحد لا ذنب له وعن الآخر والحجة عليه

وروى أن داود أول من قال أما بعد ، وهو فصل الخطاب . وروى أن أول من قال أما [بعد] قس بن ساعدة

اسماء من ثبت على كتابة رسول الله صلى الله عليه

على بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحى ، فان غابا كتبه أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه ، وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان مابين الناس ، وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الانصار بين الرجال والنساء

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ماكان يكتبه من الوحى . وروى عنه أنه قال كنت أكتب لرسول الله قوماً فقام لحاجة ،فقال لى ضع القلم على أذنك فانه أذكر للملى وأقضى للحاجة .

وروى أن معيقيب بن أبى فاطمة حليف بنى أسد كان يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه ، وكان حنظلة بن الربيع بن الموقع بن صيفى بن أخى أكثم ابن صيفى الاسيدى خليفة كل كاتب من كتاب النبى إذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، وقال له الزمنى واذكرنى بكل شىء لثالثة ، فكان لايأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره . فلا يبيت رسول الله وعنده شىء منه

ومر رسول الله صلى الله عليه بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة الحق

---

1) ف بريا وهى لغة رديئة

خالداً فقل له لاتقتان ذرية ولا عسيفاً

ومات حنظلة بمدينة الرها ، فقالت فيه امرأته

ياعجبَ الدّهر لمحزُونةٍ	تبكى على ذى شيبة شاحب
إن تسأليني اليوم ماشفَّني	أُخبرْكِ قولا ليس بالكاذب
أنَّ سواد الرأس أوْدَى به	وجدى على حنظلة الكاتب

وكان عبدالله بن سعد بن أبى سرح يكتب له ثم ارتدَّ ولحق بالمشركين فقال إن محمدا ليكتب بما شئت ، فسمع بذلك رجل من الأنصار فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربة بالسيف، فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان، وكان بينهما رضاع فقال يارسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا ، والأنصارى يطيف به ومعه سيفه ، فأعاد عليه عثمان القول فمد رسول الله يده فبايعه، وقال للأنصارى لقد تلوَّمتك ان توفى بنذرك ! فقال هلا اومضت إلى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه « لاينبغى لى ان أُومض »

وروى عن الشعبي أن رسول الله كتب أربعة كتب فى الأول « باسمك اللهم » فنزلت هود وفيها « بسم الله مجراها ومرساها » فكتب فى الثانى « بسم الله » فنزلت بنو اسرائيل [وفيها] « قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن » فكتب فى الثالث « بسم الله الرحمن » ثم نزلت سورة النمل وفيها « إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب فى الرابع « بسم الله الرحمن الرحيم »

أيام أبى بكر رضى الله عنه

وكان يكتب لأبى بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت . وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الربيع كتب له ايضا

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وكان يكتب لعمر زيد بن ثابت ، وكتب له عبد الله بن الأرقم وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصارى، وكان عمر يقول لكتابه ويكتب إلى عماله « إن القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد ، فانكم إن فعلتم ذلك تداكّت عليكم الأعمال : فلا تدرون بأيها تبتدئون وأيها تأخذون »

وكان عمر أول من دوّن الدواوين من العرب فى الاسلام ، وكان السبب فى ذلك ان أبا هريرة قدم عليه من البحرين ومعه مال ، فلقى عمر ، فقال له عمر ماذا جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم ، فقال عمر أتدرى ما تقول ؟ قال نعم مائة ألف درهم ، ومائة ألف درهم ، ومائة ألف درهم ، ومائة ألف درهم ، ومائة ألف درهم. فقال عمر أطيب هو؟ قال لا ادرى ! فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلناه كيلا وإن شئتم نعد عداً »

فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانا لهم قال دونوا الدواوين .

ولما أمر عمر الفيرُزان حضره وقد بعث بعثاً له فقال له هذا البعث قد أعطيت أهله الأموال ، فان تخلف منهم رجل وأخل بمكانه ما يدرى صاحبه ، [فأشار] عليه بالديوان وفسره له وشرحه فوضع عمر الديوان

ولما استكتب أبوموسى زيادَ بن عبد الله كتب اليه عمر يستقدمه ، فاستخلف زياداً على عمله فلما قدم عليه سأله عن من استخلف فأعلمه أنه استخلف زياداً ، فقال له استخلفت غلاما حدثا ! فقال : يا أمير المؤمنين إنه ضابط لما ولى ، خليق بكل خير . فكتب اليه عمر يأمره بالقدوم عليه والاستخلاف على العمل ، فاستخلف زيادُ عمرانَ بن حصين ، فقال عمر « لئن كن أبو موسى استخلف حدثا ، لقد

استخلف الحدث كهلا . ثم دعا بزياد فقال له ينبغى أن تكتب إلى خليفتك بما يجب أن يعمل به فكتب اليه كتابا ودفعه إلى عمر فنظر فيه ثم قال أعد ، فكتب غيره ، فقال له أعد ، فكتب الثالث .

فقال عمر لقد بلغ ما أردت فى الأول ، ولكننى ظننت أنه قد روَّى فيه ، ثم بلغ فى الثانى ما أردت فكرهت أن أعلمه ذاك ، واردت أن أضع منه لئلا يدخله العجب فيهلك

ولما رفع ضبة بن حصن العنزى والمتظلمون على أبى موسى ظلاماتهم إلى عمر وشكوه قالوا : وزيره له غلام ختار ، ومائدة وله برذون

ولما استحضر عمر زياداً قال زياد فأتيته وعلى ثياب كتان وعلى خفان ساذجان، وفى يده المخصرة على رأسها حديدة فغمزها فى خفى حتى خرَّقته ، وآذى رجلى ، فلما كان من الغد رجعت إليه فى خفين غليظين وعلى ثوبان من قطن ، فلما رآنى قال هكذا يا زياد ! هكذا يا زياد ! ثم قال لى بكم أخذت هذين الخفين ؟ قلت بوافٍ ، يريد درهما وافيا ، فأعطانى درهما وقال اشتر لى مثلهما

قال وكان عمر يملى على كاتب بين يديه فكتب الكاتب غير ما قال عمر. فقال له زياد يا أمير المؤمنين قد كتب غير ما قلت ، فنظر فى الكتاب فكان كما قال زياد ، فقال عمر : أنَّى علمت هذا؟ فقال رأيت رجع فيك وخطه ، فرأيت ما أحارت كفه غير ما رجَّعت به شفتيك .

وكتب عمر إلى أبى موسى يأمره بحفر نهر لأهل البصرة فحفر لهم النهر المعروف بنهر الأُبلة

وروى أن عمر وهب لزياد عند وصوله اليه ألف درهم ثم تذكرها بعد ، فقال ضاع ألف أخذه زياد! فلما دخل عليه قال له ما فعل ألفك ؟ قال اشتريت به عبداً وأعتقته فقال ماضاع ألفك ، ثم قال له يازياد هل أنت حامل كتابى إلى ابى موسى فى عزلك عن كتابته ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ان لم يكن ذلك عن سخط ، قال

ليس عن سخط ولكنني اكره ان احمل فضل عقلك على الرعية .

وكان عمر اول من قرر التاريخ من الهجرة ، لأن ابا موسى كتب اليه إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . وكانت العرب تورخ بعام الفيل ، فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم ارخ بمبعث النبي وقال بعضهم بمهاجره . فقال عمر : لا بل بمهاجر رسول الله صلى الله عليه ، فان مهاجره فرق بين الحق والباطل وكان ذلك فى سنة سبع عشرة او ثمان عشرة من الهجرة

ولما أجمعوا على ذلك قالوا بأى الشهور نبدأ فقال بعضهم من شهر رمضان فقال عمر بل من المحرم فهو منصرف الناس من حجهم ، وهو شهر حرام ، فأجمعوا على المحرم .

وروى فى خبر شاذٍّ أن رسول الله صلى الله عليه لما ورد المدينة مهاجراً من مكة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، سنة أربع عشرة من حين نبئ أمر بالتاريخ ، والأول أثبت

وكان أبو الزناد عبدالله بن ذكوان يكتب ليحيى بن الحكم بن أبى العاص ، وهو والى المدينة ، فغلا السعر بالمدينة ، فقال بعض ظرفائهم

ألم يحزنك أن السعرَ غال   لقول أبى الزناد ايا غلام

فلو عاش الأنام بلا كلام   لقلنا بعدها حرم الكلام

أيام عثمان رضى الله عنه

وكان يكتب لعثمانَ بن عفان مروانُ بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو جبيرة الأنصارى على ديوان الكوفة ، وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث احد كتاب النبي يتقلد له بيتَ المال . وكان ابو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى دَهمان من قيس عيلان يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاه ، وحمران مولاه

ولما قصد المصريون فى الدّفعة الأولى عثمان بن عفان ، وجه اليهم بجابر ابن عبد الله حتى ردهم

وروى عن جابر أنه قال : إن المصريين لما صاروا بأيلة راجعين عن عثمان مر بهم راكب أنكروا شأنه ، فأخذوه فاذا هو غلام لعثمان على جمل له معروف وكان عثمان يحج عليه ، ففتشوه فوجدوا معه قصبة من رصاص فيها صحيفة عليها خاتم عثمان ، ففتحوا الصحيفة فاذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن سعد عامله على مصر ، فيه « إذا قدم عليك فلان وفلان وفلان فاضرب أعناقهم ، وفلان وفلان فاقطع أيديهم وأرجلهم » فسمى الذين كانوا ساروا إلى عثمان وانصرفوا عنه من أهل مصر ، فكروا راجعين حين وقفوا على ذلك ، فأقرأوا الكتاب أصحابَ رسول الله ، فعاتب قوم عثمان على ذلك ، فقال « أما الخط فخط كاتبي ، وأما الخاتم فخاتمى ، ولا والله ما أمرت بذلك »

وكان بخط مروان بن الحكم ، فقال القوم « إن كنت كاذبا فلا إمامة لك وإن كنت صادقا ، فليس يجوز أن يكون إماما من كان بهذه المنزلة من الغفلة ، حتى يقدَم عليه كاتبه بهذا الأمر العظيم »

أيام على بن أبى طالب رضى الله عنه

وكان يكتب لعلى سعيد بن نُمْران الهمدانى ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له أيضا ، وروى أن عبد الله بن جبير كتب له ، وكان عبد الله بن أبى رافع يكتب له

وحكى عن عبد الله هذا أنه قال « كنت بين يدى على بن أبى طالب ، فقال ياعبد الله ألِق دواتك ، وأطِلْ شبا قلمك ، وفرِّج بين السطور ، وقرمِط بين الحروف »

ولما قدم على الى البصرة استتر عنه زياد ، فلقيه عبد الرحمن بن أبى بكر ،

فقال له يا أصلع أين عمك ؟ فقال أدلك عليه على أن تؤمنه فأدخله عليه فى دار أمه ، فقال له على أين ما عندك من المال ؟ فقال عندى على حاله ، فقال له مثلك فليؤتمن ، ثم أقبل مع على ، فقال لأصحابه أنا كم ابن بَجْدَتِها ، فلما سار عن البصرة استعمله على الخراج والديوان وقل له احفظ ما استكفيك .

أيام معاوية بن أبى سفيان

وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيدالله بن أوس الغسانى ، وكان يكتب له على ديوان الخراج سَرْجُونُ بن منصور الرومى ، وكان لمعاوية كاتب يقال له عبد الرحمن بن دَرّاج ، وكان له أخ يقال له عبيد الله بن دراج ، وكانا موليبه ؛ فقلده الخراجَ بالعراق عن تقليده الحرب بها ، وطالب أهل السواد أن يهدوا له فى النوروز والمهرجان ففعلوا فبلغ ذلك عشرة ألف ألف درهم فى سنة

وكان عمرو بن سعيد بن العاص يكتب على ديوان الجند ، وكان معاوية أولَ من اتخذَ ديوانَ الخاتم وكان سبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم إلى زياد وهو عامله على العراق ، ففض عمرو الكتاب وجعلها مائتى ألف درهم ، فلما رفع زياد حسابه قال معاوية ما كتبت له إلا بمائةألف درهم ، وكتب إلى زياد بذلك ، وأمره أن يأخذ المائة الألف منه ، فحبسه بها ، فاتخذ معاوية ديوان الخاتم ، وقلده عبدَ الله بنَ محمد الحِميرى وكان قاضيا

وكانت العرب إذا كتبت الى أحد شريفا كان او مشروفا بدأ الكاتب بنفسه الى المكتوب اليه ، وكتب : من فلان الى فلان

وقد حكى ان العلاء بن الحضرمى كتب : الى رسول الله صلى الله عليه من العلاء بن الحضرمى إلى محمد رسول الله . وكان عامله على البحرين وعلى ذلك جرى الأمر إلى أيام معاوية ، فأراد عبد الله بن عمر ان يكتب اليه لما استجمع عليه فى حاجة ؛ فأشار ولده ان يبدأ به فى الكتاب ، فكتب « الى معاوية

ابن أبى سفيان من عبد الله بن عمر »

وكان زياد يجلس فى كل يوم للنظر فى اسباب عماله الا يوم الجمعة

وخلا يوما يملى على كاتبه أسرار له وبحضرته عبيد الله ابنه، فنعس زياد فقام ينام. فقال لعبيد الله تعهد هذا لا يغير شيئا مما رسمته له، فعرضت لعبيد الله حاجة الى البول واشتد ذلك به، فكره ان ينبه اباه، وكره ان يقوم عن الكاتب فشد إبهاميه بخيط وختمهما، وقام لحاجته. فاستيقظ زياد قبل عوده عبيد الله فلما نظر الى الكاتب سأله عن خبره فخبره، فأحمد ذلك من فعل عبيد الله

وذكر أن زيادا دخل يوماً ديوانه فوجد فيه كتاباً وفيه ثلاثة دنانين، فقال من كتب هذا؟ فقيل هذا الفتى، فقال أخرجوه من ديواننا لئلا يفسده، وامح هذا واكتب آدن

وكان يكتب لزياد على الخراج زاذانفروخ، ويكتب له على الرسائل عبد الله ابن ابى بكرة وجبير بن حية، وكان يكتب له ايضا مرداس مولاه

وتوفى زياد يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان من سنة ثلاث وخمسين

وقد روى أن سليمان بن سعيد مولى الخشين[1] كتب لمعاوية، وأن سليمان المشجعى من قضاعة كتب له على فلسطين فكتب إلى سليمان هذا «اتخذ لى ضياعا ولا تكن بالداروم الجداب، وبقيسارية المغراق، واتخذها بمجارى السحاب» فاتخذ له البطانى من كورة عسقلان، وكتب له على بعض دواوينه عبيد الله ابن نصر بن الحجاج بن علاط السلمي

وروى أن حبيب بن عبد الملك بن مروان كتب له على ديوان المدينة، وكان يكتب على ديوان خراج حمص بن أوثال النصرانى، وله بحمص قصر يعرف به.

وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عاملا على حمص فطالت إمرته، فخافه معاوية أن يبايع له أهل الشام بالخلافة، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد

---

(١) ف مولى الحسين واضحا والصواب كما فى التنبيه والاشراف

عن المسلمين فى أرض الروم فـدسَّ إليه ابن أوثال من سقاه سما فمات ، فجلس المهاجر بن خالد بن الوليد مع عروة بن الزبير بالمدينة فقال عروة للمهاجر : هذا ابن أوثال يفخر بقتل عبد الرحمن، فخرج المهاجر من فوره حتى أتى دمشق فسأل عن ابن أوثال فأخبر أنه من كتَّاب معاوية ، فوقف ناحية حتى خرج من ديوانه . فلما رآه المهاجر قال له إنَّ لى إليك حاجة فاعدل معى ، فعدل معه إلى زقاق يعرف بزقاق عطَّاف بدمشق وكان معه سيف فعلاه به فقتله فأخذه معاوية فحبسه سنة ثم خلاه

وأهدى زياد إلى معاوية هدايا كثيرة وكان فيها عقد جوهر نفيس فأعجب به معاوية .فلما رأى ذلك زياد قال له ياأمير المؤمنين دوَّختُ لك العراقَ وجبَّيت لك بَرَّها وبحرها وغثها وسمينها ، وحملت إليك لبها وسرورها فقال له يزيدلئن فعلت ذلك لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عز قريش ، ومن عُبيد الى أبى سفيان ، ومن القلم الى المنابر، وما امكنك ما اعتذرت به إلا بناء فقال له معاوية حسبك ورِيت بك زنادى .

ولم تزل العرب تفضل السيف على القلم ، وفى ذلك يقول سَليط بن جرير بن لبيد بن عتبة بن خالد بن عبد عمرو النمرى

أيحقرنى ولستَ لذاك أهلا ... وتدنى الأصغرين من الخوان
جهابذة وكتابًا وليسوا ... بفرسان الكريهة والطعان
ستعرفنى وتذكرنى إذا ما ... تلاقى الحَلْقتان من البِطان

ومن هذا المعنى سرق أبو عبادة الوليد بن عبادة بن يحيى بن عبيد بن شملال ابن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خثيم بن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء البحترى قوله

تعنوا له وزراء الملك راغمة ... وعادة السيف أن يستعبد القلما

تعنوا تخضع ، ومنه قول الله عز وجل (وعَنَتِ الوجوهُ للحي القيوم)

قال عمر بن شبة حدثنا المعافى بن نعيم ، قال وقفت أنا ومَعْبد بن طوق على مجلس ابني العنبر ، أنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا إلينا فبدءوا بي فسلموا على ثم انكفئوا على معبد ، فقبض يده عنهم وقال لا ولا كرامة ، بدأتم بالصغير من قبل الكبير ، وبالمولى على العربي فأسكتوا

فانبرى فَتًى منهم له فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأمي ، وبالمهاجر قبل الأعرابي ، وبراكب الراحلة قبل راكب الحمار

وقلَّد معاوية عبد الرحمن بن زياد خراسان سنة ثمان وخمسين ، وكان ضعيفا سخيا ، وفيه يقول زياد بن عمرو العتكى

سألناه الجزيل فما تلكأ — وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا — وأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً لا أعود إليه إلا — تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

ولم يزل عليها إلى أن ولى يزيد وقتل الحسين عليه السلام فاستخلف على عمله قيس بن الهيثم ، وأقبل إلى يزيد فأنكر قدومه ثم رضى عنه ، وسأله عما حصل له فاعترف بعشرين ألف ألف درهم فسوَّغه إياها وكان معه من العروض أكثر منها ، فقال يوما لاسطفانوس كاتبه ويحك يا اسطفانوس إني لأعجب كيف يجيئني النوم وهذا المال عندي ! فقال له وكم مبلغه ؟ قال إني قدَّرت ما عندي لمائة سنة في كل يوم ألف درهم لا أحتاج منه إلى شراء رقيق ولا كراع ولا عرض من العروض ، فقال له اسطفانوس أنام الله عينك أيها الأمير ، لا تعجب من نومك وهذا المال عندك ، ولكن اعجب من نومك إذا ذهب ثم نمت ! فذهب ذلك كله ، أودَعَ بعضه ، فذهب وجحِد بعضَه ، وسرق أسبابُه بعضَه .

فآل أمره إلى أن باع فضة مصحفه وكان يركب حماراً صغيراً تنال رجله الأرض فلقيه مالك بن دينار ، فقال له ما فعل المال الذي قلت فيه ما قلت ؟

قال كل شيء هالك إلا وجهه يا أبا يحيى !

أيام يزيد بن معاوية

وكان يكتب ليزيد بن معاوية عبيد الله بن أوس الغسانى كاتب معاوية ، ويكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور . ولما اتصل بيزيد مسير الحسين رضى الله عنه إلى الكوفة كره ذلك وشق عليه، فشاور سرجون بن منصور فيمن يولى العراق ليقاوم الحسين فقال له سرجون عبيد الله بن زياد وكان يزيد كارها له، فقال لا خير فيه فسم لى غيره، قال أرأيت لو كان معاوية حياً فأشار به عليك ، أكنت قابلا ؟ قال نعم : فأخرج اليه عهدا من معاوية لعبيد الله بولاية الكوفة وعليه خاتمه : وقال له هذا عندى ، ولم يمنعنى من إخبارك به من أول الأمر إلا علمي ببغضك لعبيد الله فقال له فأنفذه إليه ، وكان عبيد الله يتقلد البصرة مع مسلم بن عمرو الباهلى ، وكتب معه عن يزيد اليه

أما بعد ، فان الممدوح مسبوب يوما ما ، وإن المسبوب ممدوح يوما ما ،وقد انتميتَ إلى منصب كما قال الأول

رُفعتَ فجاوزت السحاب وفوقه فمالك إلا مرقبُ الشمس مرقب

وقد ابتلى بحسين زمانك دون الأزمان ، وبلدك دون البلدان ، ونكبت به من بين العمال ؛ فاما تعتق أو تعود عبدا كما يعبد العبد والسلام

وقلد يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد خراسان، وكان يكتب له اسطفانوس كاتب أخيه عبد الرحمن

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريَّان بن سلم ، ويكتب له على الديوان

سرجون بن منصور النصرانى

أيام مروان بن الحكم

وكان يكتب لمروان سفيان الأحول ، ويكتب له على الديوان سرجون ابن منصور النصرانى ، وقد روى أنه كتب له أبو الزعيزعة

ايام عبد الملك بن مروان

وكان يكتب لعبد الملك قبيصة بن ذؤيب بن حُلحُلة الخزاعى ويكنى أبا اسحاق ، وكان خاصا به

وبلغ من لطافة محله منه أنه كان يقرأ الكتب الواردة على عبد الملك قبل ان يقرأها عبد الملك ، وكان مروان بن الحكم قد عهد إلى ابنه عبد العزيز بعد عبد الملك ، فهمَّ عبد الملك لما تمكن واستقام امره بخلعه والعهد لابنيه الوليد وسليمان ، فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال له : لعل الموت يأتى عليه فتستريح منه فقلده مصر فورد الكتاب فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانين بوفاته فقرأ قبيصة الكتاب قبل عبد الملك على عادته فى أمثاله فعزَّاه بأخيه عبد العزيز فولى عبد الملك ابنه عبد الله بن عبد الملك مصر ، وعقد لابنيه الوليد وسليمان العهد بعده ، وكتب إلى البلدان بذلك فبايعوا .

وكان يكتب لعبد العزيز بن مروان بَناس بن حُمايا من أهل الرُّها ، وكان غالبا عليه وبنى له عبد العزيز قصرا على باب الجامع بالفسطاط . فلما ورد عبدَ الملك خبرُ وفاة عبد العزيز وجه الضحاك بن عبد الرحمن إلى مصر وقال له لتصر إلى يناس كاتب عبد العزيز فاقسم ماله بينك وبينه . قال الضحاك فصرت إليه فقاسمته ، فكان أكثر ما قاسمته عليه النحاس الذى كان يعمل بأرض الروم خلا الحلى والجوهر ، فانى لم أقاسمه عليهما ، وقلت أمير المؤمنين يقاسمك على

هذا وحملت جميعه إلى عبد الملك ، فلما وضعته بين يديه جعل يقلبه بقضيب كان في يديه فمر به عقد فأخذه ، ثم قال ليناس دونك هذا الحلى ، فأخذه فلما انصرف قلت لقد احسنَ امير المؤمنين فى مقاسمتك فقال لى : لحبة من ذلك العقد خير من جميع ما ترك .

وكان يكتب لعبد الملك على ديوانِ الرسائل أبو الزُّعيزعة مولاه ، فقال له عبد الملك يوما يا أبا الزعيزعة هل اتّخَمت قط ؟ قال لا ، قال فكيف ؟ قال لأنا إذا طبخنا انضجنا ، واذا مضغنا دققنا ، ولا نكظ المعدة ولا نخليها .

وكان زُفَرُ بن الحارث بحضرة عبدالملك وبحضرته ابو الزعيزعة ، بعد ان اجتمع عليه ، فقال زفر لعبد الملك الحمد لله الذى نصرك على كُرْه من كره . فقال ابو الزعيزعة ما كره ذلك الا كافر ، فقال له زفر كذبت ، قال الله لنبيه محمد (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وان فريقا من المؤمنين لكارهون) أمؤمنين سماهم ام كفاراً ؟

فغضب عبد الملك ، فقال زفر يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو قلتُ الحمد لله الذى نصرك ، فقد كنت مسرورا بذلك ، اما كنت تمقتنى ويمقتنى الله عز وجل ، وانا اقاتلك تسعَ سنين ؟ فقال صدقت .

وكان يكتب لعبد الملك أيضا رَوْحُ بن زِنْباع الجذامى ويكنى روح أبا زُرْعة ، وكان عبد الملك كثيرا [ما] يقول : إن روح بن زنباع شامى الطاعة ، عراقى الخط ، حجازى الفقه ، فارسى الكتابة .

وكان معاوية همَّ بروح هذا ، فقال لا تشمتن بى عدواً أنت وقمته ، ولا تسوءن بى صديقاً أنت سررته ، ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته ، هلاّ أتى حلمك وإحسانك على جهلى ! فأمسك عنه ، وأنشد

إذا الله سنَّى عقدَ شىء تيسرا

وكان عبد الملك بن مروان قلد أخاه بشرا العراق ، وضم اليه روح بن

زنباع ، فلما وصل بشر إلى العراق أُغرى بالشراب فثقل عليه مكان روح بن زنباع ، فقال من يحتال لى فيه ؟ فقال سراقة البارقى أنا ؛ ثم صار سراقة إلى مجلس روح فكتب على الحائط

يا روح من لدنانير مُجَرّشة   إذا نعاك لأهل المغرب الناعى

إن الخليفة قد شالت نعامته   فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع

وكتب فوقه : قال بعض شعراء الجن . فلما وقف روح على ذلك غدا على بشر فاستأذنه فى الرجوع إلى الشأم ؛ فجعل بشر يحبسه ويسأله أن يقيم فأبى فأذن له ؛ فشخص ؛ فلما دخل على عبد الملك قال الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين؛ قال وما ذاك ؟ فأخبره الخبر . فقال له سخر منك بشر ، وأهل العراق لما ثقلت عليهم ، فاحتالوا فى الراحة منك

ثم كتب لعبد الملك ربيعة الجُرَشىُّ ، فلما عزم على تقليد [الوليد] العهد شاوره وقال له إنى قد عملت على توليته شيئا من النواحى أولا ، فقد أمرت له [illegible] قلدته ، فقال أمهلنى سنة فأبى عليه

فقال له يا أمير المؤمنين إنك لو بعثت الوليد يقسم الأموال بين الناس ما رضوا عنه ، فكيف تبعثه جابيا ، إن احتاط ذُمّ ، وإن رفق عُجِّز . ولكن ولِّه المعاون والصوائف يكن ذلك له شرفا وذكرا

ويشبه هذا شيئا حكى عن أبى العباس الطوسى مع أبى جعفر المنصور ، وذلك أن المنصور قال له ولعيسى بن على والعباس بن محمد وغيرهم من خواصه إنى قد عزمت على تقليد المهدى السواد وكور دجلة فاستصوب جميعهم رأيه خلا الطوسى فانه استخلاه ثم قال له أرأيت إن سلك المهدى غير سيرتك ، واستعمل التسهيل أترضى بذلك قال لا والله ، قال فأنت تريد أن تحببه إلى الرعية ، وتقليدك إياه يبغضه إليهم لا سيما ما قرب منك ولكن تولى هذه الولاية عيسى بن موسى وتجعل المهدى الناظر فى ظلامات الناس ، وتأمره بأخذه بإنصافهم ، فضحك منه حتى

فخص برجليه

ومات قبيصة بن ذؤيب وولى مكانه عمرو بن الحارث الفهمى مولى بنى عامر ابن لؤى ؛ فمات عمرو فقلد جناحا مولاه ديوان الخاتم ، واقتصر على باقى كتابه

ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لاحصاء الناس وأعطياتهم وهذا الذى كان عمر قد رسمه ، والآخر لوجوه الأموال بالفارسية . وكان بالشام [ديوانان] مثل ذلك أحدهما بالرومية والآخر بالعربية فجرى الأمر على ذلك إلى أيام عبد الملك بن مروان ، فلما قلد الحجاج العراق كان يكتب له صالح بن عبدالرحمن ويكنى ابا الوليد وكان يتقلد ديوان الفارسية إذ ذاك زاذانفروخ ، فخلفه عليه صالح بن عبد الرحمن ؛ فخف على قلب الحجاج وخص به فقال لزاذانفروخ إنى قد خففت على قلب الحجاج ولست آمن أن أزيلك على محلك لتقديمه إياى وأنت رئيسى ، فقال زاذانفروخ لا تفعل فانه احوج إلى منى إليه ؛ قال وكيف ذلك؟ قال لا يجد من يكفيه الحساب . فقال صالح إنى لو شئت حولته بالعربية ، قال فحول منه سطرا ، فحول منه شيئا كثيرا . فقال زاذانفروخ لأصحابه التمسوا مسكنا غير هذا

وامر الحجاج صالحا بنقل الدواوين إلى العربية فى سنة ثمان وسبعين ، وكان عامة كتاب العراق تلامذة صالح

فمنهم المغيرة بن ابى قرة كتب ليزيد بن المهلب . ومنهم قُحذُمُ بن ابى سليمان ؛ وشيبة بن ايمن كاتبا يوسف بن عمر ؛ ومنهم المغيرة وسعيد ابنا عطية وكان سعيد يكتب لعمرو بن هبيرة ، ومنهم مروان بن إياس كتب لخالد القشيرى وغيرهم .

وقال الحجاج يوما لصالح إنى فكرت فيك فوجدت مالك ودمك حلالا لى ، وأننى غير آثم إن تناولتها . فقال له صالح إن أغلظ ما فى الأمر - اعز الله الأمير - أن هذا القول بعد الفكر ، فضحك منه ولم يقل له شيئا .

وكان الحجاج لما قدم العراق ثقل امره على اهل البلاد ، فاجتمع الدهاقين الى ابن يصهرى[1] ، وكان حازما مقدما فشكوا اليه ما يتخوفون من شر الحجاج ، فقال لهم خبروني أين مولده ؟ فقالوا له الحجاز ، فقال ضعيف معجب . فأين منشؤه ؟ قالوا الشام . قال ذاك شر . ثم قال ما احسن حالكم اذا لم تبتلوا معه بكاتب منكم فابتلوا بزاذانفروخ وكان اعور شريرا وضرب لهم المثل المشهور : أن فأسا ألقيت بين شجر . فقال بعض الشجر لبعض : ما ألقى هذا هنا خير ! فقالت لهم شجرة عادية : إن لم يدخل فى هذا شىء منكم فلا تخافنه !

وكان يتقلد ديوان الشأم بالرومية لعبد الملك ولمن تقدمه سرجون بن منصور النصرانى ، فأمره عبد الملك يوما بشىء ، فتثاقل عنه وتوانى فيه ، فعاد لطلبه وحثه فيه فرأى ، منه تفريطا وتقصيرا . فقال عبد الملك لأبى ثابت سليمان بن سعد الخشنى - وكان يتقلد له ديوان الرسائل - أما ترى إدلال سرجون علينا ، وأحسبه قد رأى أن ضرورتنا إليه وإلى صناعته ، أفما عندك حيلة ؟ قال لو شئت لحولت إلى العربية ، قال فافعل فحوله فرد إليه عبد الملك جميع دواوين الشأم

وحكى أنه كان لعبد الملك كاتب نصرانى من أوساط كتابه يقال له شمعل وأنه أنكر عليه شيئا فحذفه بمخصرة كانت فى يده أصابت رجله فأثرت فيها فرأى شمعل جماعة من أسباب عبد الملك ممن يعاديه ، وقد ظهر فيهم السرور فأنشأ يقول :

أمن ضربة بالرجل منى تهافتت عداتى ولا عيب على ولا نكر
وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

ولما قلد الحجاج عبد الله بن الحارث الفلوجتين[2] فقال لما وردها أهنا دهقان

---

١) فى المروج جبيل بن صهيب وفى ق بدون نقط وفى الموضع الآتى رسم هكذا يصهرى ٢) الفلوجتين قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر

يعاش برأيه ؟ فقيل له جبيل بن يصهرى فأحضر وشاوره ، فقال له جبيل أقدمت لرضى ربك أم لرضى من قلدك أم لرضا نفسك ؟ فقال ما استشرتك إلا لرضا الجميع ، فقال احفظ عنى خلالا : لا يختلف حلمك على رعيتك ، وليكن حلمك على الشريف والوضيع سواء ، ولا تتخذن حاجبا ليرد عليك الوارد من أهل عملك على ثقة من الوصول اليك ، وأطل الجلوس لأهل عملك يتهيبك عمالك ، ولا تقبل الهدية فان صاحبها لا يرضى بثلاثين ضعفا لها ، فاذا فعلت ذلك فاسلخ جلودهم من قرونهم إلى اقدامهم ، قال فعملت بوصيته فجبيتها ثمانية عشر ألف ألف درهم

ولما هزم يزيد بن المهلب وهو يتقلد خراسان من قبل الحجاج عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث ، عند محاربته إياه أمر يحيى بن يعمُر العدوانى — وكان يكتب له على الرسائل — أن يكتب إلى الحجاج بالفتح ، فكتب يحيى ابن يعمر :

« إنا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم ، فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ، ولحقت طائفة برءوس الجبال ، وعراعر[1] الأودية ، وأهضام[2] الغيطان ، وأثناء الأنهار »

فقال الحجاج من يكتب ليزيد بن المهلب ؟ فقيل له يحيى بن يعمر ، فكتب إلى يزيد يأمره بحمله إليه على البريد ، فقدم اليه فرأى أفصح إنسان . فقال له أين ولدت ؟ فقال بالأهواز . فقال من أين هذه الفصاحة ؟ فقال حفظت كلام أبى وكان فصيحا فقال له الحجاج : اخبرنى هل يلحن عَنْبَسة بن سعيد ؟ قال : نعم كثيرا ، قال ففلان ؟ قال نعم [قال] فأخبرنى عنى هل ألحن ؟ قال لا أنت أفصح الناس ! قال : لتخبرنى ، قال إنك تلحن لحنا خفياً تزيد حرفا أو تنقص حرفا ، وتجعل أن فى موضع إن ، قال : قد أجلتك ثلاثا فان وجدتك بعد ثلاثة بالعراق

---

١) عرعرة الجبل : رأسه ومعظمه ٢) الأهضام جمع هضم وهو المطمئن من الأرض وبطن الوادى

قتلتك ! فرجع إلى خراسان .

وقال الحجاج يوما لبعض كتابه : ما يقول الناس فيّ ؟ فاستعفاه فلم يعفه ، قال : يقولون إنك ظلوم ، غشوم ، قتال ، عسوف ، كذاب . قال كلما قالوا فقد صدقوا فيه إلا الكذب منذ علمت أن الكذب يشين أهله

وكان يزيد بن أبى مسلم ـ واسم أبى مسلم دينار من موالى ثقيف وليس مولى عتاقة وكان أخا الحجاج من الرضاعة ـ يتقلد للحجاج ديوان الرسائل ، وكنيته أبو العلاء ، وكان الحجاج يجرى له فى كل شهر ثلاثمائة درهم ، يعطى امرأته منها خمسين درهما ، وينفق فى ثمن اللحم خمسة وأربعين درهما ، وينفق باقيها فى ثمن الدقيق وباقى نفقته . فان فضل منها شىء ابتاع به ماء وسقاه للمساكين ، وربما ابتاع قُطُفا فرقها فيهم وهو مع ذلك يقتل الخلق للحجاج

وحكى أن الحجاج عاده من علة ، فوجد بين يديه كانونا من طين ومنارة[1] من خشب . فقال له يا أبا العلاء ما أرى رزقك يكفيك ! قال إن كانت ثلاثمائة لا تكفينى فثلاثون ألفاً لا تكفينى !

ولما حضرت الحجاجَ الوفاة فى شهر رمضان سنة خمس وتسعين استخلف يزيد بن أبى مسلم على خراج العراق فأقام بعده تسعة أشهر

وحكى أنه سمع من قبر الحجاج صوتٌ فصير إلى يزيد بن أبى مسلم ، فعرف ذلك فركب فى أهل الشام حتى انتهى الى قبره فتسمع ، فلما سمع الصوت قال يرحمك الله يا أبا محمد لا تدع القراءة حياً ولا ميتاً ! ثم ركب

وهذا يشبه ما روى عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أن معاوية مر بسعد فى طريق مكة بعد صلاة الصبح ، ومعه أهل الشام . فوقف على سعد فى طريق مكة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فقال معاوية لأهل الشام أتدرون من هذا ؟ هذا سعد صاحب رسول الله صلى الله عليه لا يتكلم حتى تطلع الشمس . فبلغ سعداً

---

[1] المنارة موضع النور والمراد بها هنا المسرجة

ذلك ، فقال ما كان ذلك منى والله على ماقال ! ولكنى كرهت أن أكلمه .

وبلغ عبدالملك بن مروان أن بعض كتابه قبل هدية ، فقال أقبلت هديةمنذ وليتك ؟ فقال أمورك مستقيمة ، والأموال دارّة ، والعمال محمودون ، وخراجك موفر . فقال له أخبرنى عما سألتك عنه ، فقال نعم قد قبلت فقال والله إن كنت قبلت هدية ، لاتنوى مكافأة المهدى لها إنك لئيم دنىء ، وإن كنت قبلتها، تسكتفى رجلا لم تكن تستكفيه لولاها إنك لخائن ، وإن كنت نويت تعويض المهدى عن هديته ، وأن لاتخون له أمانته ، ولا تثلم له ديناً فلقد قبلت مابسط عليك لسان معامليك ، وأطمع فيك سائر مجاوريك . وسلبك هيبة سلطانك ، وما فى من أتى أمراً لم يخل فيه من لوم أو دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ! وصرفه عن عمله .

وكان يكتب لمصعب بن الزبير على الخراج سارزاذ صاحب باذين[1] ويكتب له على الرسائل عبد الله بن أبى فروة ، ويكنى عبد الله أبا عبد الله وهو جد الربيع مولى المنصور ، وكان عبد الله وعبد الملك ومصعب فى حداثتهم أخلاء لايكادون يفترقون

وكان إذا اكتسى عبد الملك كسوة اكتسى الأخوان مثلها ، فاكتسى عبد الملك حلة ، واكتسى ابن أبى فروة مثلها ، وبقى مصعب لايجد مايكتسى به وكان أقلهم شيئا ، فذكر ابن أبى فروة ذلك لأبيه فكساه مثل حليتهما على يدى ابنه .

فلما ولى مصعب العراق استكتب ابن أبى فروة فكان عنده يوما إذ أُتى مصعب بعقد جوهر قد أصيب فى بعض بلاد العجم لبعض ملوكهم ، لا يدرى ماقيمته ، فجعل مصعب يقلبه ويعجب منه ، ثم قال لابن أبى فروة يا عبد الله أيسرك أن أهبه لك ؟ قال نعم والله أيها الأمير إن ذلك ليسرنى . فدفعه اليه، فرآه قد سر

---

١) فى ياقوت باذبين وباذن والأولى قرية تحت واسط على ضفة دجلة ، والثانية من قرى خابران من اعمال سرخس

به سروراً شديداً ، قال مصعب والله لأنا بالحلة يوم كسوتنيها أشد سروراً منك بهذا الآن وكان العقد سبب غناء ابن أبى فروة وغناء عقبه

وذكر مصعب الزبيرى أنه وجد عامل خراسان كنزاً ، وفيه نخلة كانت لكسرى مصنوعة من الذهب عثا كيلها من لؤلؤ وجوهر وياقوت أحمر وأخضر فحملها إلى مصعب بن الزبير ، فجمع المقوّمين لها لما وردت عليه ، فقوموها بألفى ألف دينار ، فقال إلى من أدفعها فقيل إلى نسائك وأهلك ، فقال لا بل إلى رجل قدّم عندنا يداً وأولانا جميلا ، ادعوا عبد الله بن أبى فروة فدفعها اليه فلما قتل مصعب كاتب بن ابى فروة عبد الملك وبذل له مالا ، فسلم منه بماله وكان أيسرَ أهل المدينة ، واسم أبى فروة كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان .

وكان محمد بن عبد الله بن أبى فروة نبيلا ظريفا ، فذكر مصعب الزبيرى أنه كتب إلى جارية له كان لها من قلبه موضع ، وكان مقيما فى بستان

إنَّ لى عندَ كلِّ نفحة بستا ... نٍ منَ الورد أو من الياسمينا
نظرة والتفاتة لك أرجو ... أن تكونِى حللتِ فيما يلينا

وقد روى لعبد الله أبيات شعر وهى :

ولما أتينا منزلا طلهُ الندى ... أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجدَّ لنا حسنُ المكان وطيبهُ ... مُنى فتمنَّينا فكنت الأمانيا

واجتاز مصعب الزبيرى بالمدينة يريد مكة ، فلم ينزلها لعزيمة كانت من عبد الله لشىء أنكره ألا يعرج عليها وأن ينزل البيداء ، فالتقى عبد الله بن جعفر وعاصم ابن عمر فى صبحة تلك الليلة ، فقال عبد الله بن جعفر لعاصم أما ترى ماصنع بنا هذا الفتى ، حيث فر ولم يعرج علينا ؟ وخرج اليه فأقبل مصعب عليهما ، فقال كأنى بكما وقد التقيتما فقلتما استخف بنا هذا الفتى وطوانا ولم تعلما عذرى ، إن أمير المؤمنين عزم علىَّ أن أنزل البيداء ولست أعصيه . ثم قال لعاصم يا أبا عمر احتكم فعدّدا شيئا من دقيق وشيم وأثث ، فقال ليس هذا عندنا حاضرا ، ولكن اك

قيمته ، فقوم ستة عشر ألف دينار فأمر له بها ، ثم أقبل على عبد الله بن جعفر ، فقال يا أبا جعفر لك ضعفها فقال وما لك لا تحكمني ؟ قال لعلى بتخففك قال والله لو فعلتَ لخرجت مما ترى صفرا .

فلما انصرفا قال عبد الله لعاصم هل رأيتَ مثل هذا الفتى أعقل وأكرم وأحلم ؟

وذكر محمد بن سلام عن ابى اليقظان أن كاتبا كان لمصعب بن الزبير كتب من المصعب ؟ فقال مصعب ماهاتان الزائدتان ؟ يعنى الالف واللام

أيام الوليد بن عبد الملك

وكان يكتب للوليد القَعْقاع بن خُلَيْد العبسى ، وكان الوليد اول من كتب من الخلفاء فى الطوامير[1] وامر بأن تعظم كتبه ، ويجلل[2] الخط الذى يكاتب به ، وكان يقول تكون كتبي والكتب إليَّ خلاف كتب الناس بعضهم الى بعض ، وكان يكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الخُشَنِي ، وعلى ديوان الخاتم شعيب الصابى مولاه ، ويكتب له على المستغلات بدمشق نُفَيْعُ بن ذؤيب مولاه ، واسمه مكتوب فى لوح فى سوق السراجين بدمشق .

أيام سليمان بن عبد الملك

وكان يكتب لسليمان سليم بن نعيم الحميرى ؛ وورد عليه كتاب مسلمة يذكر دخوله بلاد الروم ، وأنه بلغ ما لم يبلغه احد . فقال لكاتبه وقع عليه « ذاك بالله لا بمسلمة »

وكان يكتب لسليمان على ديوان الرسائل الليث بن أبى رُقَيَّة ، وعلى ديوان

---

١) الطوامير جمع طومار ؛ وهو الصحيفة ٢) يحتمل الرسم أن يكون ويجلد الخط ومعنى يجلل أن يكتب بالقلم الجليل وهو نوع من الخطوط

الخاتم نعيم بن سلامة ، وكان رجل من اهل فلسطين يعرف بابن بطريق يكتب له ، فأشار عليه ببناء الرملة .

وكان السبب فى ذلك ان ابن بطريق سأل اهل لُدّ[١] حائرا[٢] كان فى الكنيسة أن يعطوه إياه يبنى فيه منزلا ، فأبوا فقال لهم والله لأخربنها – يعنى الكنيسة – ثم قال [لسليمان] ان امير المؤمنين عبد الملك بنى مسجدا فى بيت المقدس على هذه الصخرة فعُرف ذلك له ، وإن بنيت مسجدا ومدينة نقلت الناس الى المدينة فبنى مدينة الرملة ومسجدها ، فكان ذلك سبب خراب لد .

ولما عزم سليمان بن عبد الملك على بناء مسجد الرملة أراد أن ينقل عُمُد كنيسة جورجس اليه فاستمهله البطرك وكتب إلى بلاد الروم ، فورد الجواب عليه : أن دله على مغارة بالقرب من الداروم[٣] فان فيها باقى العمد التى بنيت منها الكنيسة فدله فاستخرج سليمان العمد فبنى بها المسجد وبقيت كنيسة جورجس

وكان يكتب على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقيق عبد الله بن عمرو بن الحارث ، ولما تولى سليمان الخلافة صرف يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج عن العراق حربه وخراجه فى سنة ست وتسعين وقلد الحرب يزيد بن المهلب، وكان قلده الحرب والصلاة والخراج ، فكره يزيد تقلد الخراج لإخراب الحجاج العراق ،وخاف إن عسف أهله بالمطالبة أن يذموه ، وان قصر فى العسف أن ينقص ما يستخرجه عما استخرجه الحجاج ، فاستعفى يزيد بن المهلب سليمان من الخراج ، وأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، ففعل سليمان ذلك

---

١) لد قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين ٢) الحائر المكان المطمئن أو البستان وهو عام فى كل أرض مسورة لاسقف لها قالوا وكان سجن الحجاج حائرا : أى لاواقى فيه فى اليوم الشامس والنهار الماطر

٣) الداروم قلعة ينسب اليها الخمر غزة للقاصد الى مصر ، الواقف فيها يرى البحر الا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، وقد خربها صلاح الدين سنة ٥٨٤

ثم قلد سليمان يزيد خراسان مضافة الى العراق فى سنة ثمان وتسعين فقصد لجرجان ، وكانت منيعة ، وكان كل من يتقلد خراسان يتحاماها ، وألح عليها ففتحها

وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فروة مولى سدوس ، فكتب يزيد إلى سليمان يخبره بفتح جرجان ، ويعظم عنده الأمر وموقع النعمة فى ذلك ، ويعرفه أنه قد حصل فى يده من المال مما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذى حق حقه من الفىء من الغنيمة ستة ألف ألف درهم ، فقال له المغيرة كاتبه لا تكتب بتسمية مال ودعه مجملا ؛ ولعل أمير المومنين اذا لم يعرف مبلغه أن يسمح به لك ، واذا عرفه استكبره وأمر بحمله ، وان أمسك عنك فيه بقى ذكر المال مخلداً فى الديوان ، وان ولى وال بعدك أخذك به ، وان كان ممن يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فأبى يزيد قبول ذلك ، وأمضى الكتاب به

فورد على سليمان فى أول سنة تسع وتسعين ، وتوفى فى صفر منها قبل أن يأمر فى المال بشىء

وقلد الخلافة عمر بن عبد العزيز ، فصرف يزيدَ بن المهلب ، فلما صار إليه سأله عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال له كنت من سليمان بالمكان الذى رأيت ، وإنما كتبت إليه لأُسمع الناس به ، وقد علمت أنه لا يكن ليأخذنى بشىء مما سمعت به ولا بأمر أكرهه ، فقال عمر لا أجد فى أمرك إلا حبسك ، فاتق الله وأد الأمانة فيما قبلك من المال ، فانها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها ، وامر بحبسه ، فلم يزل فى الحبس الى ان حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة فهرب يزيد من محبسه فى سنة احدى ومائة ، لأنه كان يخاف يزيد بن عبد الملك ، وكن سليمان ولاه العهد بعد عمر بن عبد العزيز ، فأداه ذلك الى المخالفة على يزيد بن عبد الملك ، وخلعه إياه ، حتى سرح اليه الجيوش مع اخيه مسلمة بن عبد الملك فقتل يزيدَ وأكثر آل المهلب

وكان ليزيد بن المهلب خاصة بسليمان ، وكان يجلس على سريره ، فاذا جاء سليمان تنحى يزيد بن المهلب عنه . وإن جاء يزيد بن المهلب وسليمان على السرير جلس معه .

وحكى أن سليمان بن عبد الملك قال ليزيد بن ابى مسلم : أتُرَى صاحبك بلغ قعرها ، ام هو يُهوَى به ؟ فقال لاتقل ذاك يا أمير المؤمنين ، فانه والى وليك ، وأخاف عدوك . وجعل نفسه لك جنة ، ودينه لك وقاية ، وإنه يوم القيامة لعن يمين ابيك ، ويسار اخيك ، فاجعله حيث شئت

وكان سليمان ولى رجلا من موالى معاوية ، يقال له أسامة بن زيد — من اهل دمشق وكان كاتبا نبيلا — الخراج بمصر فبلغه ان عمر بن عبد العزيز يقرصه ويغمض عليه فى سيرته . فقدم اسامة بن زيد على سليمان بمال اجتمع عنده ، ووافقه على ما احتاج اليه ، وعمل على الرجوع الى عمله ، وتوخى وقتا يكون فيه عمر عند سليمان ، فلما بلغه حضوره مجلسه استأذن عليه ، فلما وصل اليه قال له « يا أمير المؤمنين ، انى ماجئتك حتى نَهِكت الرعية وجهدت ، فإن رأيت أن ترفق بها وترفه عليها ، وتخفف من خراجها ماتقوى به على عمارة بلادها ، وصلاح معايشها فافعل ، فانه يستدرك ذلك فى العام المقبل ، فقال له سليمان : هبلتك امك ، احلب الدَّرَّ ، فاذا انقطع فاحلب الدم ، النجا

فخرج أسامة بن زيد فوقف لعمر بن عبد العزيز حتى خرج ، فركب ثم سار معه ، وقال له : انه بلغنى يا أبا حفص أنك تلومنى وتذمنى ، وقد سمعتَ اليوم ما كان من مقالتى لابن عمك ، وما ردَّ على ، وعرفت عذرى ، فقال عمر سمعت والله كلام رجل لا يغنى عنك [من الله] شيئاً .

فلما توفى سليمان كتب عمر وهو على قبره بعزل أسامة بن زيد ، وبعزل يزيد بن أبى مسلم ، فاغتابه الناس وقالوا هذا الحرص ألا صبر حتى يدفن الرجل ؟!

فقال لما بلغه ذلك : إنى والله خفت الله عز وجل ، واستحييته أن أقرهما يحكمان فى أمور الناس طرفة عين وقد وليت أمورهم .

أيام عمر بن عبد العزيز

وكان يكتب لعمر الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم بنت أبى سفيان ، وكتب له أيضا رجاء بن حيوة وخص به ، وكان من كتابه اسماعيل بن أبى حُكيم مولى الزبير ، وكان يكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعيد الخشنى ، وكان عمر بن عبدالعزيز يأمر كتابه بجمع الخط كراهية استعمال الطوامير ، فكانت كتبه إنما هى شبر أو نحوه .

وروى عن عبد الله بن أبى بكر [بن عمرو] بن حزم أن أباه كتب إلى عمر ابن عبدالعزيز يسأله قراطيس ، فكتب اليه عمر أن دقق القلم ، وأوجز الكتاب ، فانه أسرع للفهم .

وكتب إلى عامل آخر – كتب إليه يطلب منه قراطيس ، ويشكو قلتها عنده – أن دقق قلمك ، وأقلل كلامك تكتف بما عندك من القراطيس

وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز – وقد كان قلده الخراج بالجزيرة وبيت المال بحران – ياميمون دع أربع خصال ، لاتدخلن على سلطان أبداً ما أمكنك ، وإن قلت آمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر . ولا تخلونّ بامرأة أبدا ، وان قلت أعلمها القرآن . ولا تكلمن بكلام تريد أن تعتذر منه ، ولا تطلبن المعروف أبدا إلى من لايضعه فى أقاربه

وقلد عمرُ بن العزيز عمرَ بن ميمون بن مهران الجزيرة ، وكان عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن عمرو بن حزم : احص المخنثين بالمدينة ، فصحف الكاتب ، فقال اخص فجمع كل من قدر عليه منهم فخصاهم جميعا .

وكان من كتابه الصباح بن المثنى ، فروى أبو صالح عبدالله بن صالح كاتب الليث

رسالة كتبها الصباح هذا عن عمر بن عبد العزيز إلى عياض بن عبد الله ثم قال فى آخرها : وكتب الصباح بن المثنى يوم الخميس لأربع خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين، وكان الصباح من جلة كتاب عمر وعليتهم

وقال عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد بن عبد الملك أمك بنانة أمة للسكون كانت تدخل حوانيت حمص لما الله أعلم به، فاشتراها دينار بن دينار يعنى كاتب عبد الملك ومولاه من فىء المسلمين، فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس الجنين، والله لهممت أن أبيعك وأجعل ثمنك فى بيت مال المسلمين، فان لكل مسلم فيك حقاً !.

وذكر ابن أبى الزناد أنه كان يكتب لعمر بن عبد العزيز، وأنه كان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه، وكان عبد الحميد عامله على الكوفة : قال فأملى عليه يوما كتابا إليه قال فيه إنه يخيل إلى أنى لو كتبتُ اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبتَ الىَّ أضأن أم ماعز ؟ فان كتبتُ بأحدهما كتبت إلى أصغير أم كبير ؟ فان كتبت إليك بأحدهما، كتبت الى أذكر أم أنثى ؟ فإذا أتاك كتابى هذا فى مظلمة، فاعمل به ولا تراجعنى والسلام .

وسأل عمر بن عبد العزيز عن يزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج، فقيل له انه غزا الصائفة، فأمر بالكتاب اليه برده، وقال : لا أستنصر بجيش هو فيهم فرده من الدرب

أيام يزيد بن عبد الملك

وكان يكتب ليزيد قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله، ثم استكتب أسامة بن زيد السليحى واعاد يزيد بن عبد الملك سليمان بن سعد الى الدواوين، وكان خفيفا عالما بصناعته، وكان عمر بن العزيز صرفه عن

رسالة كتبها الصَّباح هذا عن عمر بن عبد العزيز إلى عياش بن عبد الله ثم قال في آخرها : وكتب الصباح بن المثنى يوم الخميس لأربع خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ، وكان الصباح من جلة كتاب عمر وعليتهم

وقال عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد بن عبد الملك أمك بنانة أمة للسَّكون كانت تدخل حوانيت حمص لما الله أعلم به، فاشتراها دينار بن دينار يعني كاتبَ عبد الملك ومولاه من فيء المسلمين ، فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس الجنين ، والله لهممت أن أبيعك وأجعل ثمنك في بيت مال المسلمين، فإن لكل مسلم فيك حقاً !.

وذكر ابن أبي الزناد أنه كان يكتب لعمر بن عبد العزيز ، وأنه كان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، وكان عبد الحميد عامله على الكوفة ، قال فأملى عليه يوماً كتاباً إليه قال فيه إنه يخيل إلي أني لو كتبتُ اليك أن تعطي رجلا شاة لكتبتَ الي أضأن أم ماعز ؟ فإن كتبتُ بأحدهما كتبتَ إلي أصغير أم كبير ؟ فإن كتبت إليك بأحدهما ، كتبت الي أذكر أم أنثى ؟ فإذا أتاك كتابي هذا في مظلمة ، فاعمل به ولا تراجعني والسلام .

وسأل عمر بن عبد العزيز عن يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج ، فقيل له انه غزا الصائفة ، فأمر بالكتاب اليه برده ، وقال : لا أستنصر بجيش هو فيهم فرده من الدرب

أيام يزيد بن عبدالملك

وكان يكتب ليزيد قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ، ثم استكتب أسامة بن زيد السليحي واعاد يزيد بن عبد الملك سليمان بن سعد الى الدواوين ، وكان عفيفا عالما بصناعته ، وكان عمر بن العزيز صرفه عن

وقد كان أسامة بن زيد يتولى خراج مصر للوليد بن عبدالملك، وهوالذى ينسب إليه قصر أسامة، ولما أفضت الخلافة إلى يزيد بن عبدالملك طلب أسامة ابن يزيد فقال سليمان بن سعد الخشنى ليزيد بن عبد الله لم بعث أمير المؤمنين الى أسامة بن يزيد؟ فقال لا أدرى قال أفتدرى مامثلك ومثل أسامة؟ قال لا، قال مثلك ومثله مثل حية كانت فى ماء وطين، فأن رفعت رأسها وقع عليها حافر دابة، وإن بقيت ماتت بردا، فمر بها رجل، فقالت أدخلنى فى كمك حتى أدفأ ثم أخرج، فأدخلها فلما دفئت قال لها اخرجى، فقالت: إنى مادخلت فى [مثل]هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة إما أن نسلم منها وإما أن تموت، ووالله لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة إما أن تسلم معها وإما أن تموت!

قال عمر بن شبة حدثنى بعض أصحابنا عن الوَضاح بن خثيمة، قال: أمرنى عمر بن عبد العزيز بأخراج قوم من السجن، فأخرجتهم وتركت يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج، فحقد ذلك على ونذر دمى فأنى لبافريقية إذ قيل لى قدم يزيد بن أبى مسلم صارفاً لمحمد بن يزيد مولى الأنصار من قبل يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فهربت منه، وعلم بمكانى فأمر بطلبى فظفر بى وصيربى اليه، فلما رآنى قال: لطالما سألت الله أن يمكننى منك، فقال وضاح: وأنا لطالما سألت الله أن يعيذنى منك، قال: فو الله ما أعاذك منى، والله لأقتلك! ثم والله لأقتلنك! والله لو سابقنى ملك الموت اليك لسبقته، ثم دعا بالسيف والنطع، فأتى بهما وأمر بالوضاح فأقيم فى النطع وكتف، وقام وراءه رجل بسيف، وأقيمت الصلاة فخرج إليها، فلما سجد أخذته السيوف، ودخل إلى الوضاح من قطع كتافه وخلى سبيله، وقال انطلق راشداً.

وكان سبب قتل يزيد بن أبى مسلم أنه أجمع أن يصنع بأهل افريقية ماصنع الحجاج بأهل العراق من رده من منّ الله عليه بالاسلام إلى بلده ورستاقه،

وأخذهم بالخراج، فقتلوه وأعادوا محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان محبوسا فى يده ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك يقولون إنهم لم يخلعوا يداً من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سامهم مالا يرضى الله به ولا المسلمون — فقتلناه وأعدنا عاملك محمد بن يزيد ، فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك إنى لم أرض بما صنع يزيد بن أبى مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على افريقية ، وكان ذلك فى سنة اثنتين ومائة .

وقلد يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق فلما صار ابن هبيرة إلى العراق عزم على الجباية ، فخاف مكان صالح بن عبد الرحمن عند يزيد بن عبد الملك فقال لكاتبه عبيدة العنبرى هل إلى صالح من سبيل؟ قال لا والله ما أعرف اليه سبيلا إلا أن تظلمه . فقال وكيف لى بظلمه ؟ قال كان رفع الى يزيد بن المهلب ستمائة ألف درهم ، ولم يأخذ منه بها براءة . فكتب ابن هبيرة إلى يزيد بن عبد الملك إن بى إلى صالح حاجة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجهه إلى فعل . فدعا يزيد بصالح فخبره فقال والله مابه الى حاجة ، ولقد تركت العراق ولو أتاه أبكم أكمه عرف ما فيه ، فنفذه اليه ، فلما وصل الى ابن هبيرة أمر به فعذب فكان كلما عذب بضرب من العذاب قال هذا القصاص ، قد كنت اعذّب الناس بمثل هذا ، حتى عذب بضرب منه كان يدعى الفزارية كان إياس بن معاوية دل ابن هبيرة عليه فقال صالح هذا مالم أعذّب به

فلما ألح ابن هبيرة على صالح بالعذاب جاء جبلة بن عبد الرحمن وجَبْهان ابن محرز والنعمان السكسكى ، وقالوا نحن نضمن صالحا وما عليه ، فقال لهم الكاتب احضروا المال ، فقالوا قبل الليل فدخل الكاتب على ابن هبيرة فأعلمه فلم يخرج اليهم حتى امسوا وانصرفوا وأصبح صالح ميتا

أيام هشام بن عبد الملك

وكان يكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الأبرش الكلبي ويكنى أبا مجاشع وكان غالبا عليه، ولما توفى يزيد بن عبد الملك وأفضى الامر الى هشام أتاه الخبر، أتاه وهو فى ضيعة له ومعه جماعة من أصحابه فيهم سعيد بن الوليد الكلبي ، فلما قرأ الكتاب سجد وسجد من كان معه من أصحابه خلا سعيد فانه لم يسجد فقال له هشام ياسعيد لم لم تسجد كما سجد اصحابك؟ فقال علام اسجد أعلى ان كنت معى فطرت ، فصرت فى السماء ! قال له فان طير ناك معنا ؟ قال الآن طاب السجود

وكان هشام يعتم فقام سعيد ليسوى عمامته، فقال له هشام مه ، فانا لا نتخذ الاخوان خولا

ولما شخص عمر بن هبيرة الى هشام تكلم بكلام استحسنه هشام ، ثم اقبل على سعيد فقال ماما مات من خلف مثل هذا ، قال فقال له سعيد ليس هناك ياأمير المؤمنين ، اما تراه يرشح جبينه لضيق صدره ، فقال عمر بن هبيرة مالذلك رشحت ياسعيد ، ولكن لجلوسك ولست [له] بأهل ، وكان سعيد يحب ان يفسد حال عمر بن هبيرة عند هشام ، وكان ابن هبيرة يسير اذا ركب هشام بالبعد منه ، وكان هشام معجبا بالخيل ، فاتخذ سعيد عدة خيل جياد واضمرها وأمر المجرين لها ان يعارضوا هشاما إذا ركب، فان سألهم قالوا انها لابن هبيرة فركب هشام يوما فعورض بالخيل ، فنظر الى قطعة من خيل حسنة ، فقال لمن هذه ؟ فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا ، وقال واعجباه اختان ما اختان ثم قدم . فوالله مارضيت عنه بعد ، ثم هو يباريني فى الخيل، عليّ بابن هبيرة فدعى به من جانب الموكب فجاء مسرعا فقال ماهذه ياعمر ولمن هي؟ ورأى الغضب فى وجهه فعلم أنه قد كيد

فقال خيل لك يا أمير المؤمنين علمت عجبك بها ، وانا عالم بجيادها فاخترتها وطلبتها من مظانها فر بقبضها ، فأمر بقبضها

وكان ذلك سبب اقباله عليه ولم يتهيأ لسعيد ان يتكلم وانما ظن ان هشاما يغضب ولا يسأل فتتم الحيلة على عمر ، فانعكست الحيلة عليه حيلة له

وتقلد اسحاق بن قبيصة بن ذؤيب ديوان الصدقة لهشام ، وتقلد ايضا ضياع الاردن ، واسمه مكتوب بالفسيفساء على قصر من قصور الصباح بعكا مما جرى على يدى اسحق بن قبيصة

وكان من كتابه تاذرى بن اسطين النصرانى فقلده ديوان حمص

وكان جنادة بن أبى خالد يكتب لهشام على الطُرُز ، واسمه موجود على الثياب الهاشمية ، وتقلد خالد بن عبد الله القشيرى [1] العراق .

وحكى أن هشاما أُقطع قبل أن تفضى اليه الخلافة أرضا يقال لها دورين فأرسل فى قبضها ، فاذا هى خراب فقال لدُوَيد ـ كاتب كان بالشأم ـ ويحك كيف الحيلة ؟ فقال ما تجعل لى فقال أربعمائة دينار ، فكتب دورين وقراها ثم أمضاها فى الدواوين فأخذ هشام شيئاً كثيراً ، فلما ولى هشام دخل عليه دويد فقال له هشام دورين وقراها ! والله لا تلى لى ولاية أبدا وأخرجه إلى الشأم .

وكان فى ديوان العراق مع محمد المنتشر بن أخى مسروق بن الأجدع من كتابه رجل يقال حسان النبطى ، فكتب هشام يأمر أن لا يستعان بذمى ، فقيل لحسان فى ذلك ، فأسلم على يدى محمد بن المنتشر ، ثم كتب لسعيد بن عمرو الجرشى على خراسان ثم عاد الى العراق بعد صرف سعيد ، وكان قد تقبل ضياع هشام بنهر الرمان رجل يقال له فروخ ويكنى أبا المثنى فثقل على خالد أمره ، فقال لحسان اخرج الى أمير المؤمنين وزد على فروخ فى الضياع ألف ألف درهم على أن تستوفى حدودها ، فوجه هشام مع حسان رجلين من صلحاء أهل الشام ؛

---

١) المشهور فى كتب التاريخ أنه القسرى بالسين المهملة لا القشيرى

حتى حاز الضياع واستوفى حدودها، فصار حسان أثقل على خالد من فرج يحمل يؤذيه ويضر به فقال له لاتفسدنى فانى صنيعتك. فأبى الا الاضرار به فبثق حسان البثوق على الضياع، وخرج الى هشام فقال ان خالدا بثق البثوق على ضياعك. فوجه هشام ناظرا ينظر إليها، وأقام حسان ينتظر عورته فقال فى بعض الأيام لخادم من خدم هشام هل لك فى ألفى دينار. على أن تتكلم بكلمة حيث يسمعها أمير المؤمنين؟ قال عجل على الألفين، وأقول ماشئت. فعجلها له، وقال له بك صبياً من صبيانه، فاذا بكى فقل له اسكت فكأنك فى صلفك وعزتك ابن خالد القشيرى لما بلغت غلته ثلاثة عشر ألف ألف درهم، ففعل الخادم وسمعها هشام فأضب عليها، فدخل عليه حسان بعد ذلك، فقال له ادن منى. فدنا منه فقال كم غلة خالد؟ فقال ثلاثة عشر ألف ألف درهم، فقال له فكيف لم تخبرنى بذلك؟ فقال له وهل سألتنى فوقرت فى نفس هشام حتى عزله.

ولما أراد هشام صرف خالد بن عبد الله وكان بحضرته رسول يوسف بن عمر قد ورد عليه من اليمن وهو يتقلدها له فدعا به وقال ان صاحبك لمتعد طوره، يسأل فوق قدره، وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطا، وقال له الحق بصاحبك فعل الله به وفعل!

ودعا بسالم الكاتب على ديوان الرسائل، فقال له اكتب الى يوسف بن عمر - بشىء أمره به - واعرض الكتاب على فمضى سالم ليكتب ماأمر به وخلا هشام، فكتب كتابا لطيفا الى يوسف وفيه: سر الى العراق فقد وليتك، وإياك أن يعلم بك أحد، واشفنى من ابن النصرانية وعماله - وأمسكه فى يده.

وحضر سالم بالكتاب الذى كتبه، فعرضه عليه واغتفله، فجعل الكتاب الصغير فى طيه وختمه ودفعه الى الربيع، وقال له ادفعه الى رسول يوسف فلما وصل الرسول الى يوسف قال ماوراءك؟ قال الشر أمير المؤمنين ساخط

عليك ، وقد أمر بتخريق ثيابى وضربى ، ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب صاحب الديوان ، ففض الكتاب وقرأه فلما انتهى الى آخره وقف على الكتاب الصغير بخط هشام ، فاستخلف ابنه الصلت بن يوسف وسار الى العراق وكان يخلف سالما الكاتب على ديوان الرسائل بُشير بن أبى دُلجة وكان فطناً ، فلما وقف على ما كان من هشام ، قال هذه حيلة وقد ولى يوسف العراق ، فكتب الى عياض وكان وادّا له قد بعثوا اليك بالثوب اليمانى ، فاذا أتاك فالبسه واحمد الله عليه ! وأعلم طارقا بذلك ، فعرف عياض طارقا وهو ابن أبى زياد ذلك ، وكان عامل خالد على الكوفة وما يليها ـ ثم ندم بشير على ما كتب به ، فكتب الى عياض : إن القوم قد بدا لهم فى البعثة اليك بالثوب اليمانى ! فعرّف أيضا عياض طارقا بذلك ، فقال طارق الخبر فى الكتاب الأول ولكن صاحبك ندم ، وخاف أن يظهر أمره . وركب من ساعته الى خالد فخبره الخبر ، فقال له فما ترى ؟ قال أرى أن تركب من ساعتك الى أمير المؤمنين فانه إذا رآك استحيا منك ، وزال شىء[1] ان كان فى نفسه عليك ، فلم يقبل ذلك فقال له أفتأذن لى أن أسير الى حضرته ، وأضمن له جميع مال هذه السنة ؟ قال وما مبلغ ذلك ؟ قال مائة ألف ألف درهم ، وآتيك بعهدك ، فقال له : ومن أين هذه ؟ والله ما أملك عشرة آلاف درهم ، فقال له : أنا أتحمل وسعيدُ بن راشد أربعين ألف ألف درهم ، وكان سعيد بن راشد يتقلد له الفرات ، ومن الزينبى وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم ، ونفرق الباقى على باقى العمال ، فقال له : انى إذاً للئيم ، أن أسوغ قوما شيئا ثم أرجع عليهم به ، فقال له انما نقيك ونقى أنفسنا ببعض أموالنا ، ونبقى النعمة عليك وعلينا فيك ، ونستأنف طلب الدنيا خير من أن نطالب بالأموال ، وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسون عنا ويتربصون بنا فنقتل وتذهب أنفسنا ، ونجعل الأموال لهم

١) لعل الصواب وزال سوء

يأكلونها ، فأبى فودعه وبكى ، وقال هذا آخر العهد بك ، ووقع يوسف ثلث طارق فى العذاب ، ولقى خالد وجميع عماله كل سوء.

ومات منهم فى العذاب بشر كثير ، وكان منهم داود بن عمرو بن سعيد على ديوان الرسائل ، وكان مبلغ ما استخرجه منه ومنهم تسعين ألف ألف درهم

وكان يكتب ليوسف بن عمر على الخراج ، قحذم بن أبى سليم بن ذكوان مولى أبى بكرة ، ويكتب له على الرسائل رشد بن مولاه ، وكان يكتب له أيضا زياد ابن عبد الرحمن مولى ثقيف

وكان هشام قد حظر على يوسف بن عمر تعذيب خالد أو نيله فى نفسه بمكروه فشق ذلك عليه فوجه بكاتبه قحذم بن أبى سليم الى هشام ، فقال له احتل فى إذنه فى تعذيب خالد ، فسار قحذم الى حضرة هشام وجد فى إذنه فى تعذيب خالد فلم يأذن له ، فقال له يا أمير المؤمنين ان خالدا يقول مالا يتكلم به . قال وما هو ؟ قال لا يقال ، وخرج فأتبعه خُدَيجا خادمه ، فقال ما الذى يقوله خالد ؟ قال ماله عنده اسم إلا الأحول . فأخبره بذلك ، فكتب إلى يوسف بالبسط عليه ، فعذبه يوما واحدا ثم جاءه كتابه بتخلية سبيله فخلاه فذهب إلى الشام

وذكر المدائنى أن بعض كتاب يوسف بن عمر تأخر عن حضور ديوانه يوما ، فدعا به فسأله عن تأخره . فعرفه ان ضرسه ضرب عليه فقلع له ضرسين

وقال يوسف يوما لقحذم بن أبى سليم من أين هذا النفط ؟ قال أصلح الله الأمير ، أما الأسود فانه يحمل من أذربيجان ، وأما الأبيض فإنه يحمل من رامهرمز ، فقال له يابن اللخناء من سألك عن الأسود ! والله لتوسعنى صمتا أو لأوسعنك جلدا

وكان قحذم يعيب صالح بن عبد الرحمن ، لتعظيمه ابنه ، واعتماده فى الأمور عليه ، فصنع قحذم بابنه عمر مثل ما عاب

وكان يقول ما أعلم أحدا يضبط أمر العراق بعدى إلا ابنى عمر ، فولى ابنه

أمره ، فصانع وأصاب مالا وسلاحا ، فقال يوسف لقحذم يوما يا قحذم اكفني ابنك ونحه عنك ، فقال زياد بن عبد الرحمن ليوسف بن عمر إن هشاما قد أعجب بقحذم ، ولست آمن أن يوليه العراق فوقرت فى نفس يوسف ، فكتب إلى هشام يستأذنه فى الوفادة ، فأذن له وأمره أن يولى الحكم بن أبى الصلت الحرب ، ويولى الخراج قحذما ، فقال له زياد بن عبد الرحمن هذا ما أخبرتك به ، فترك يوسف الوفادة وعزل قحذما وحبس ابنه عمر وعذبه ، وقال لقحذم اخرج عنى فقال له خل ابنى علام تحبسه ؟ فقال عليه مائة وخمسون ألف درهم ، قال فهى علىّ ، فأخرجه وابعث به إلى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير بواسط مع حرس من قبلك ، فاذا حملت اليه هذا المال خل سبيله ففعل

وقدم قحذم ورسل يوسف على عبد الصمد ، فقال له عبد الصمد جئنى بكفلاء بالمال فجاء، فخلاه ، فانحدر الى البصرة

وجاء كتاب يوسف الى عبد الصمد احبس قحذما ، وإن كان قد مضى فاطلبه أشد الطلب ، فاتصل ذلك بقحذم فهرب إلى مكة ، فأقام بها ثلاث سنين

ومات هشام ، فكتب يوسف إلى الوليد أن قحذما بمكة ، وسأله الأمر بطلبه وحمله إليه ، فكتب الوليد إلى يوسف بن محمد بن يوسف يأمره بطلبه وحمله إلى يوسف بن عمر فطلبه يوسف بن محمد فلما صار فى يده تلطف له ، وقال له أترضى وانت خال أمير المؤمنين بإمرة الحجاز ، ويوسف بن عمر على العراق ؟ فقال قد وعدنى أمير المؤمنين أن يولينيها فرغبه فيها وحثه على طلبها ، فقال له وايم الله لئن وليت لأولينك أمرى كله ، ومع أنى لا أوجهك الى يوسف حتى أراجع أمير المؤمنين فيك فأقام قبله فراجع الوليد فيه ، فلم يعد الجواب حتى قتل الوليد .

وقلد هشام أشرس بن عبد الله السلمى خراسان ، ويكتب لأشرس رجل من أهل السواد يقال له عميرة ويكنى أبا أمية

ولما مات أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله بخراسان ، وكان تولاها بعد أشرس اختار هشام نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي لتقليد خراسان فكتب عهده ، وأنفذه إليه

وكان أسد لما حضرت وفاته استخلف جعفر بن حنظلة فعرض جعفر على نصر ابن سيار أن يوليه بخارى ، فشاور نصر بن سيار البخترى بن مجاهد مولى بني شيبان في قبولها ، فأشار عليه أن لا يقبلها وقال لعشرح نصر[1] بخراسان وكأنك بعهدك قد جاءك على خراسان كلها .

فلما ولي نصر بن سيار استكتب البخترى بن مجاهد وكان وصول العهد إلى نصر في رجب من سنة عشرين ومائة ولم يزل البخترى على كتابة نصر إلى أن هرب نصر من خراسان فوجه أبو مسلم بعمرو بن أعين حتى قبض على البخترى بن مجاهد ، فحبسه ثم قتله

وكان أكثر كتاب خراسان إذ ذاك مجوس ، وكانت الحسبانات بالفارسية فكتب يوسف بن عمر ، وكان يتقلد العراق في سنة أربع وعشرين ومائة إلى نصر بن سيار كتابا أنفذه مع رجل يعرف بسليمان الطيار يأمره أن لا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابته

وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان اسحاق بن طُلَيق الكاتب رجل من بني نهشل ، كان مع نصر بن سيار فخص به ، وولد لاسحاق ابن فسماه نصرا ، وقال :

سميتُ نصرا بنصر ثم قلتُ له   اخدم سميَّك يا نصرُ بنَ سيار

أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك

وكان يكتب للوليد بكر بن الشماخ ، ويكتب له على ديوان الرسائل مسلم

---

١) هكذا في الاصل ولعل الصواب تصير لخراسان

مولى سعيد بن عبد الملك ثم كتب له ابنه عبد الله بن سالم

وكان من كتابه عبد الأعلى بن أبى عمرة ، وكان يكتب له على خاص أمره ويلزم حضرته عمرو بن عتبة، فقال له يوما : ياأمير المؤمنين إنك تلطفنى بالأنس وأنا اكفيت ذلك بالهيبة لك وأراك تأمر بأشياء أخافها عليك، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقا ؟ فقال كل مقبول منك، ولله فينا علم ، ونحن صائرون اليه ـ ونعود فنقول فقتل الوليد بعد أيام يسيرة

وكان يكتب له على ديوان الجند عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف وكان على الخاتم بيهس بن زُمَيل ، وكان يكتب للوليد بن يزيد قبل الخلافة عياض بن مسلم .

أيام يزيد بن الوليد الناقص

وكان يكتب ليزيد بن الوليد عبد الله بن نعيم ، وكان عمرو بن الحارث مولى بنى جُمَح يتولى له ديوان الخاتم فقال عمرو بن الحارث لبعض ولد عبد الملك كنتُ متى شئتَ[1] أن أجد[2] من يعد وينجز[3] وجدته ، فقد أعيانى من يعد ولا ينجز ، فلما مضت من هذا القول سنون قال عمرو كنت متى شئت وجدت من يقول ولا يفعل ، فصرنا إلى زمان من فيه لا يقول ولا يفعل

وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشنى ، وكان يتقلد له الخراج والخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن ، وكان يتقلد الخاتم الكبير قطن مولاه ، وكان بُرْد بن سنان أشار على يزيد بن الوليد أن يعهد فقال : إنى لا أعرف من يصلح فهل تعرف أحداً ؟ فقال له أمير المؤمنين اعلم بأهل بيته ، فقال أما إن أهل العراق يحبون هذا حباً شديداً لمكان أبيه ـ يعنى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ـ وإن أهل الشام ليذكرونه ويفضلونه ، قال برد فقال

---

١) ف بفتح التاءين ٢) ف تجد ٣) ف وينجز وقد أثبتناه هكذا

لى فادع دواة وقرطاسا فدعوت بهما ، فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
وأغمى عليه ودخل قطن مولاه ، وكان يتقلد مع ديوان الخاتم حجابته ، فسأل
عن الدواة والقرطاس فقلت إن أمير المؤمنين أراد أن يعهد فولى ثم رجع وقد
أفاق يزيد ، فقال أصلح الله أمير المؤمنين أنا رسول مَنْ وراء هذا الباب
يناشدونك الله فى دمائهم ويسألونك بالله لما وليت أمرهم ابراهيم بن الوليد ،
فقطب ثم نظر اليه ، وقال بيده على جبينه : أنا أولى أمرهم ابراهيم ،
قالها مرات ثم أغمى عليه ، فخرج قطن فقعد فى البيت الذى كن فيه فكتب
كتاباً على لسان يزيد بتولية ابراهيم ، ثم خرج بالكتاب وقرأه على الناس ،
فبايع أهل الشأم ابراهيم خلا أهل حمص فانهم كاتبوا مروان بن محمد ، وامتنعوا
من بيعة ابراهيم ووقعت الفتنة ، وكان منصور بن جُمْهور على العراق ثم
صرف بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وكان يكتب لعبد الله بن عمر المغيرة
ابن عطية

ايام ابراهيم بن الوليد

وكان يكتب لابراهيمَ ابراهيمُ بن أبى جمعة ، ويتقلد ديوان فلسطين ثابت
ابن نعيم الحارثى

ايام مروان بن محمد الجعدى

وكان يكتب لمروان ، عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامرى من
عامر بن لؤى ، وكان من كتابه أيضا مصعب بن ربيع الخثعمى ، وكان مروان
أول من أمر أن يحلى الجند ، وكان عبد الحميد بن يحيى قال لمروان حين رأى
علوا من بنى العباس ، أتتهمنى يا أمير المؤمنين فيك؟ قال لا فقال أرأيت ابراهيم
ابن محمد على أليس ابن عمك ؟ قال بلى ! قال فانى أرى أموره تتبع عليك فأنكحه

وأنكح اليه ، فان ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه شيئاً ، وان كفيته لم تشن بصهره ، فقال ويحك والله لو علمته صاحب الأمر لسبقت اليه ، ولكن ليس هو بصاحبه ، فقال له وما يضرك من ذلك ، وهو من القوم الذين تعلم ان الأمر منتقل اليهم لا محالة ومن الصواب أن تعلق بينك وبينهم شيئاً ، فقال والله انى لأعلم ان الرأى فيما تقول ولكنى اكره أن أطلب النصر بأحراح النساء .

وكتب عبد الحميد الى أهله وأقاربه عند هزيمة مروان من فلسطين ، وهو آخر حرب ومواقعة كانت له وكانوا ينزلون بالقرب من الرقة ، يتوجع بعرق بالحرام يعزيهم عن نفسه

« أما بعد فان الله جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها ، فمن درت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها سكن اليها ورضيها وأقام عليها ، ومن قرصته بأظفارها ، وعضته بأنيابها ، وتوطأته بثقلها ، قلاها نافرا عنها ، وذمها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا منها ، وقد كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها وأرضعتنا من درها أفاويق استحليناها ، ثم شمست منا نافرة ، وأعرضت عنا متنكرة ، ورمحتنا مولية ، فملح عذبها ، وأمر حلوها ، وخشن لينها ، فرقتنا عن الأوطان ، وقطعتنا عن الاخوان . فدارنا نازحة ، وطيرنا بارحة ، قد أخذت كل ما أعطت ، وتباعدت مثل ما تقربت ، وأعقبت بالراحة نصبا ، وبالجذل هما ، وبالأمن خوفا ، وبالعز ذلا ، وبالجدة حاجة ، وبالسراء ضراء ، وبالحياة موتاً ، لاترحم من استرحمها ، سالكة بنا سبيل من لا أوبة له ، منفيين عن الأولياء ، مقطوعين عن الأحياء »

وقال فى فصل آخر منه « وكتبت اليكم والأيام تزيدنا منكم بعدا واليكم صبابة ووجدا ، فان تتم البلية إلى أقصى مدتها ، يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والصغار ، والذل شر دار ، والأمجار ، يائسين من روح الطمع ، وفسحة الرجاء ، نسأل الذى

يعز من يشاء، ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة فى دار آمنة تجمع سلامة الأديان والأبدان ؛ فانه رب العالمين وارحم الراحمين »

ووجدت بخط ميمون بن هارون لعبد الحميد كتابا كتبه الى الكتاب أطال فيه إلا أنه أجاد ، فلم استجز اسقاط بعضه وكتبت جميعه على طوله لأن الكاتب لا يستغنى عن مثله وهو :

« أما بعد حفظكم الله يا أهل هذه الصناعة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فان الله جل وعز جعل الناس من بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين سُوَقا، وصرفهم فى صنوف الصناعات التى سبب منها منها معاشهم ؛ فجعلكم معشر الكتاب فى أشرفها صناعة ، أهل الأدب والمروءة والحلم والروية وذوى الاخطار والهمم، وسعة الذرع فى الافضال والصلة، بكم ينتظم الملك، وتستقيم للملوك أمورهم، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجمع فيهم وتعمر بلادهم، يحتاج اليكم الملك فى عظيم ملكه، والوالى فى اقدر السنى والدنى من ولايته. لا يستغنى عنكم منهم أحد، ولا يوجد كاف إلا منكم، فموقعكم منهم موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون ، وألسنتهم التى بها يبطشون ، أنتم إذا آلت الأمور الى موئلها ، وصارت الى محاصلها ثقاتهم دون أهليهم وأولادهم وقراباتهم وأصحابهم فأمتعكم الله ماخصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم سربال النعمة عليكم

وليس أحد من أهل الصناعات كلها احوج الى استخراج خلال الخير منكم المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم. ايها الكتاب إن كنتم على ماسبق به الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره إلى أن يكون حليما فى موضع الحلم ، فقيها فى موضع الحكم مقداما فى موضع الاقدام، ومحجما فى موضع الاحجام، لينا فى موضع اللين ، شديدا فى موضع الشدة، مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف ، كتوما للاسرار ، وفياً عند

الشدائد ، عالما بما يأتى ويذر ، ويضع الأمور فى مواضعها ، قد نظر فى كل صنف من صنوف العلم فأحكمه ، فان لم يحكمه شذا منه شذوا[1] يكتفى به ، يكاد يعرف بغريزة عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ، مايرد عليه قبل وروده ، وعاقبة مايصدر عنه قبل صدره ، فيعد لكل أمر عدته ويهيىء لكل أمر أهبته

فتنافسوا معشر الكتاب فى صنوف العلم والأدب ، وتفقهوا فى الدين ، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ، واجيدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وأرووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها ، وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ماتسمون اليه بهممكم ، ولا يضعفن نظركم فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج منكم ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها ، ومساوىء الأمور ومحاقرها ، فانها مزلة للرقاب مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة ، ومافيه أهل الدناءة والجهالة ، واياكم والكبر والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة بغير إحنة ، وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم ، وتواصلوا عليها ، فانها شيم أهل الفضل والنبل من سلفكم ، وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى ترجع اليه حاله ، وان اقعد الكبر احدكم عن مكسبه ، ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه ، واستظهروا بفضل رأيه وتجربته وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه ، أحدب واحوط منه على أخيه وولده ، فان عرضت فى العمل محمدة فليضفها الى صاحبه وان عرضت مذمة ، فليحملها من دونه ، وليحذر السقطة والزلة والملال عند تغير الحال ، فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه إلى المرأة ، وهو لكم أشد منه لها ، فقد علمتم أن الرجل منكم قد يعرف الرجل

---

١) شذا بالخبر علم به فأفهمه ، ويقال ايضا شدا بالدال المهملة اخذ طرفا من الأدب ومعناهما متقارب

إذا صحبه في بدء أمره ، من وفائه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان سره وعفافه وتدبيره ، بما هو حرى أن يحققه بفعاله في غير حين الحاجة إلى ذلك منه فتبلوا وفقكم الله ذلك من أنفسكم في حال الرخاء والشدة ، والحرمان والمواساة والإحسان والإساءة ، والغضب والرضا ، والسراء والضراء ، فنعمت السمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة فإذا ولي الرجل منكم ، وصير إليه من أمور خلق الله وعباده أمر ، فليراقب الله تعالى ذكره ، وليؤثر طاعته فيه ، وليكن على الضعيف رفيقا ، وللمظلوم منصفا ، فإن الخلق عباد الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بعباده ، ثم ليكن بالحق حاكما ، وللأشراف مكرما ومداريا ، وللفيء موفرا ، وللبلاد عامرا ، وللرعية متألفا ، وليكن في مجلسه متواضعا ، حليما لينا ، وفي استجلاب خراجه واستقصاء حقوقه رفيقا .

وإذا صحب أحدكم الرجل فليستشف خلائقه ، كما يستشف الثوب يشتريه لنفسه فإذا عرف حسنها قبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن ، واحتال لصرفه عما [هو فيه] [1] من القبيح بألطف حيلة ، وأحسن مداراة له ورفقة ، فقد عرفتم أن سائس البهيمة إذا كان حاذقا بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رموحا اتقاها من قبل رجلها ، وإن كانت جموحا لم يهجها إذا ركبها ، وإذا كانت شموسا تو[قاها] من ناحية يدها ، وإن خاف منها عضاضا توقاها من ناحية رأسها . وإن كانت حرونا لم يلاحها وتبع هواها في طريقها ، وإن استمرت عطفها فيسلس له قيادها ، ومن هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته دليل وأدب لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وصحبهم .

والكاتب بفضل رأيه ، وشرف صناعته ، ولطيف حيلته ، ومعاملته لمن يحاوره ويناظره ويفهم عنه ويخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ، ولا تعرف خطأ ولا صوابا ، إلا بقدر

---

١) هذه الجملة غير واضحة في ف

ما يصيرها اليه سائسها أو صاحبها الراكب لها

فأدقوا يرحمكم الله النظر، واعملوا فيه الروية والفكر تأمنوا من صحبته باذن الله النَّبْـوة والاشتغال والجفوة ويصيروا منكم إلى الموافقة، وتصيروا منهم إلى المواساة والشفقة ان شاء الله.

ولا يجوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره، قدرَ صناعته فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صناعتكم خدم لا تحتملون فى خدمتكم على التقصير، وخزان وحفظة لا يحتمل منكم التضييع والتبذير، واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما عددّت عليكم، فنعم العون عونكم على صيانة دينكم، وحفظ أماناتكم، وصلاح معاشكم، واحذروا متالف السرف، وسوء عاقبة الترف، فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما، ولا سيما الكتاب، والأمور أشباه وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة، وأرجحها حجة، وأحمدها عاقبة، واعلموا أنَّ للتبذير آفة وضدّا و[أنهما لا][1] يجتمعان فى أحد أبدا، وهو الوصف الشاغل لصاحبه على انفاذ عمله ورويته، فليقصد الرجل منكم فى مجلس تدبيره قصد الكافى فى منطقه وليقصد فى كلامه وليوجز فى ابتدائه، وليأخذ بمجامع حججه حجته، فان ذلك مصلحة لعقله ومجمة لذهنه ومدفعة للشاغل عن اكثاره، وإن لم يكن الاكثار عادة، ثم وضع موضعه فى ابتداء كتاب أو جواب عند الحاجة، فلا بأس

ولا يدعون الرجل منكم صنع الله تعالى ذكره له فى أمره وتأييده إياه بتوفيقه الى العجب المضر بدينه وعقله وأدبه، فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان ذلك الصنع، لفضل حيلته وأصالة رأيه وحسن تدبيره، كان متعرضا لأن يكله الله الى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، ولا يقل أحد منكم إنه أأدب وأعقل وأحمل

---

[1] هذه الجملة غير واضحة فى ف.

لعب ، التدبير ، والعمل من أخيه فى صناعته ، فان أعقل الرجلين عند ذوى الألباب القائل ان صاحبه أعقل منه ، وأحمقهما الذى يرى أنه أعقل من صاحبه ، لعجب هذا بنفسه ونبذ ذاك العجب وراء ظهره ، إذ كان الآفة العظمى من آفات عقله .

ولكن قد يلزم الرجل أن يعرف فضل نعمة الله عليه من غير عجب برأيه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا تكابر على أخيه وكفئه ، ويشكر الله ويحمده بالتواضع لعظمته

وأنا أقول فى آخر كتابى هذا ماسبق به المثل « من يلزم الصحة يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب ، وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل ، فلذلك جعلته آخره وختمته به

تولانا الله وإياكم معشر الكتاب بما يتولى به من سبق علمه فى سعادته وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله »

ولما قوى أمر بنى العباس وظهر ، قال مروان لعبد الحميد : انا نجد فى الكتب أن هذا الأمر زائل عنا لامحالة ، وسيضطر اليك هؤلاء القوم - يعنى ولد العباس - فصر اليهم ، فانى أرجو أن تتمكن منهم فتنفعنى فى مخلفى ، وفى كثير من أسبابى فقال له وكيف لى بأن يعلم الناس جميعا ان هذا عن رأيك ، وكلهم يقول انى غدرت وسرت إلى عدوك ! وأنشد :

أسِرُّ وفاءا ثم أظهر غدرَةً ٭ فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهرُهْ !

وأنشد أيضا :

فدينى ظاهر لاعيب فيه ٭ للائمة وعذرى بالمغيب

فلما سمع ذلك مروان علم أنه لا يفعل ، ثم قال له عبد الحميد الذى أمرتنى به أنفع الأمرين لك واقبحهما بى ، ولك على الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل معك .

ولما قتل عامر بن اسماعيل المسلى مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه ، فعرض عليه

رءوس القتلى ، لأنه قتل فى ستة أو سبعة من خواصه ، وكانوا معه فغرفة رأسه ؛ وحمل عبد الحميد إلى أبى العباس ، فسلمه الى عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمى طستا ويضعه على رأسه ، فلم يزلْ يفعل به ذلك حتى قتله

ووجدتُ بخط ابى على أحمد بن اسماعيل، حدثنى العباس بن جعفر الأصبهانى قال طُلب عبدُ الحميد بن يحيى الكاتب ، وكان صديقا لابن المقفع ففاجأهما الطلب وهما فى بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد ، فقال كل واحد منهما أنا ـ خوفا من أن ينال صاحبه بمكروه ـ وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال ترفقوا ، فانَّ فىَّ علامات ، ووكلوا بنا بعضكم ويمضى بعض يذكر تلك العلامات لمن وجه بكم، ففعل ذلك وأخذ عبد الحميد !

وكان يكتب لعامر بن اسماعيل الحسين بن محمد بن القاسم النخعى ، وكان عبد الحميد : يقول أكرموا الكتاب فان الله عز وجل أجرى أرزاق العباد على أيديهم .

وكان يكتب لمروان على النفقات زياد بن أبى الوَرْدِ الأشجعي واسمه مكتوب على ميناء صور وعلى ميناء عكا ما أمر باصلاحه أمير المؤمنين مروان، وجرى على يد زياد بن أبى الورد

وذكر على بن سراج المحدث أنه رأى على بيت مال بأذربيجان مما أمر به عبد الله المنصور أمير المؤمنين ، وجرى على يد زياد بن أبى الورد . لأنه تقلد أيضا للمنصور .

وذكر مَخْلَدُ بن محمد بن الحارث وكان من كتاب مروان إلى أن قتل مروان ، ثم اتصل بعبد الله بن على : أنه حضر مجلس عبد الله يوما فسأله عن مروان ، وقال له حدثنى عنه، فقال له: إنه قال لى يوم الوقعة إحزِرْ لى القوم ، فقلت إنى صاحب قلم ، ولست بصاحب حرب ، فأخذ يمنة ويسرة ونظر ثم قال لى هم اثنا عشر ألفا ، فجلس عبد الله ، وكان متكئا ثم قال : لله دره ما

أحصى الديوان يومئذ فضلا عن اثنا عشر ألفا !.

وأهدى عامل لمروان غلاما أسود فقال لعبد الحميد ا كتب إليه فاذمم فعله فكتب إليه عبد الحميد : لو وجدت لونا شراً من أسود ، وعددا أقل من واحد لأهديته !

وهذا مأخوذ من قول أعرابى قيل له مالك من الولد ؟ فقال قليل خبيث . فقيل له مامعناك فى هذا ؟ فقال لا أقل من واحد ، ولا أخبث من بنت وأنشد لعبد الحميد

ترحّل ماليس بالقافلِ	وأعقبَ ماليسَ بالزائلِ
فويلى من الخلف النازل	ولهفى على السّلف الراحل[1]
أبكّى على ذا وأبكى لذا	بكاء الموفة الثاكل
تبكى من ابن لها قاطع	وتبكى على ابن لها واصل
فليست تَفَتَّرُ من عبرة	لها فى الضمير ومن هامل
فقضت غوايات سكر الصبا	وردَّ التُّقى عَنَن الباطل

وكان أبو جعفر المنصور كثيراً ما يقول بعد افضاء الأمر الى بنى العباس علينا بنو مروان بثلاثة أشياء ، بالحجاج ، وبعبد الحميد بن يحيى الكاتب ، والمؤذن البعلبكى .

وساير عبدُ الحميد يوما مروان على دابة قد طالت مدتها فى ملكه ، فقال له مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك . فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها ، فقال له فكيف سيرها ؟ فقال همها أمامها ،

---

١) فى سرح العيون

فلهفى لذى خلف قادم	ولهفى على سلف راحل
سأبكى على ذا وابكى لذا	بكاء موهلة ثاكل
فتبكي من ابن	....

وسوطها عنانها ، وما ضربت قط إلا ظلما .

وقيل لعبد الحميد بن يحيى ما الذى مكنك من البلاغة ، وخرجك فيها؟ فقال حفظ كلام الأَصلع – يعنى أمير المؤمنين على –

وحكى أن عبد الحميد مر بابراهيم بن جبلة وهو يكتب خطا رديئا فقال له أتحب أن يجود خطك ؟ قال نعم فقال أطل جلفة قلمك وأسمنها ، وحرف قطتك وأيمنها ؛ قال ابراهيم ففعلت ذلك فجاد خطى .

وحكى عن ابراهيم بن العباس أنه قال ماتمنيت كلام أحد أن يكون لى إلا كلام عبد الحميد حيث يقول فى رسالة له : الناس أصناف مختلفون وأطوار متباينون ، منهم عِلْقُ مِضَنَّة لا يباع ، ومنهم غُلٌّ مَظِنَّة لا يبتاع .

وقال عبد الحميد العلم شجرة ثمرتها الالفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

وكان لعبد الحميد عقب يسكنون مصر ، ولم يكن فى أوائلهم من له نباهة فلما صار أحمد بن طولون إلى نواحى مصر اتصل به أربعة نفر من ولده ، ويعرفون ببنى المهاجر ، وكانوا يكتبون قبله للحسين الخادم المعروف بعَرَق الموت

واستكتب أحمد بن طولون منهم الحسن بن محمد بن أبى المهاجر ، وكان على بن محمد أخوه أسنّ منه ، واستعان أحمد بن طولون أيضا بأخويهما ، وكانا يكنيان بأبى القاسم وأبى عيسى ، وخصوا جميعا بأحمد بن طولون ، وغلبوا عليه واستحكمت ثقتهُ بهم ، وكانوا من أنصب الناس وأشدهم انحرافا عن بنى هاشم .

قال يوسف بن ابراهيم صاحب ابرهيم بن المهدى سمعت ابراهيم بن المهدى يقول لعلى بن محمد بن أبى المهاجر وقد فخر بذكر جده وذكر تقدمه فى صناعته وفضله وأدبه وبلاغته أن عبد الحميد كان من أشأم كاتب على وجه الأرض ، لأنه لما تقلد وزارة مروان لم يقتصر شؤمه على اتلافه فقط ، حتى أزال دولة بنى مروان جملة ، ولم يكتف فى مروان إلا بالقتل

قال أحمد بن محمد المكنى بابن نصر المعروف بابن الاعجمى ان الحسن بن

محمد لم يزل على كتابة أحمد بن طولون إلى أن مات وان خمارويه نكبه بعد أبيه وحبسه

حدثتني جارية كانت للحسن بن محمد يقال لها بنات أن خمارويه أمر باحضارها واحضار جميع جوارى الحسن، وكانت فيهن جارية له تدعى بدعة وكان يتحظاها وأنه طالبها بأن تغنيه، فامتنعت فدعا خادم يقال له سوار، فأسر اليه شيئا وغاب غيبة، وعاد ومعه رأس الحسن بن محمد، فوضعه فى حجرها، فلما رأته صرخت وصرخنا جميعا، فأمر باخراجنا من حضرته.

وكان يكتب لابراهيم الامام على الدعاة بكر بن ماهان، ويكنى أبا هاشم، وكان زوج ابنته من أبى سلمة بن حفص بن سليمان مولى بنى الحارث ابن كعب ويعرف بأبى سلمة الخلال، وقيل فى نسبته إنه نسب إلى الخل، وقال ثعلب عن ابن الاعرابى أنه نسب إلى خِلَل السيوف وهى الجفون، وذكر أن العرب تسمى من يعملها الخلال واستشهد بقول الشاعر:

أخلَقَ الدهر بجوٍّ طَللا   مثلَ ما أخلق سيفٌ خِللا

ولما حضرت أبا هاشم الوفاة كتب إلى ابراهيم الامام يخبره أنه كتب فى أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا وإنه قد استخلف حفص بن سليمان، فكتب ابراهيم إلى أبى سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان أنه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فقبلوا أمره ودفعوا اليه خمس أموالهم ونفقات الشيعة

وكان المتولى لمكاتبة الامام عن الدعاة والقيم بأمرهم، وقراءة الكتب اليهم[1] بمحضر جماعتهم طلحة بن زريق أخو مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين ويكنى طلحة أبا المنصور، وكان مهلهل بن صفوان مولى امرأة كانت لعلى بن عبد الله بن العباس تخدم إبراهيم الامام فى الحبس وتكتب له كتبه، فلم تزل معه

١) كتب فى هامش « والصحيح القيم بقراءة كتبه اليهم »

إلى أن قتل مروان ابراهيم .

ولما هزم ابن هبيرة وقصد واسط ودخل حميد والحسن بن قحطبة إلى الكوفة لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، أظهروا أبا سلمة وسلموا إليه الرياسة ، وسموه وزير آل محمد ، ودبر الأمور ، وأظهر الامامة الهاشمية ولم يسم الخليفة

وكان ابو مسلم يكاتبه للأمير حفص بن سليمان وزير آل محمد بن عبد الرحمن بن مسلم أمير آل محمد

وكان أبو مسلم لما أظهر الدعوة بخراسان وغلب على ما غلب عليه من البلاد قلد كتابة الدواوين بحضرته وبيت المال أبا صالح كامل بن مظفر ، وقلد كتابة الرسائل أسلم بن صبيح

وكان إبراهيم عند حبس مروان إياه خاف على أهل بيته ، فولى أبا العباس عهده ، وعقد الخلافة له من بعده ، وأمره بالمسير إلى الكوفة إلى أبي سلمة ، وأمر أهل بيته أن يسيروا معه ويسمعوا له ويطيعوا ، ونعى إليهم نفسه ، فسار أبو العباس عبد الله بن محمد ومعه أبو جعفر أخوه وداود وعبد الله عماه ، وعيسى بن موسى بن محمد بن على ، وموسى بن داود بن على ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ومعهم جماعة من مواليهم . فلما شارفوا الكوفة وجه أبو العباس بابراهيم بن سلمة إلى أبي سلمة يخبره فأنكر أبو سلمة مقدمهم ، وقال خاطروا بأنفسهم وعجلوا فليقيموا بقصر مقاتل وهو على رحلتين من الكوفة حتى ننظر فى أمرنا . فرجع إليهم إبراهيم بذلك فكتبوا إليه إنا فى بَرِّيَّة ولا نأمن قصد جيوش الشام إيانا ؛ لأنهم بهيت على ثلاث مراحل منا وسألوه الاذن لهم فى الدخول الكوفة ليتحرزوا بها ، فأذن لهم على كره وأنزلهم فى بنى أود[1] فى دار الوليد بن سعد الجمال مولى بنى هاشم ، وكتم أمرهم نحوا من

١) أود خطة من محال الكوفة نسبة إلى أود بن سعد العشيرة

شهرين من جميع القواد والشيعة . وعسكرُ أبى سلمة بحمام أعين ، وقام بها وفرق عماله على السهل والجبل ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وتَرِد عليه .

وكان أبو سلمة يطعم أصحابه غداء وعشاء ، وكان يتأنقُ فى السلاح والدواب ولا يتأنق فى ثوبه

وكان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار والجدل وتفسير القرآن ، حاضر الحجة كثير الجِد .

وكان لما صح عنده موت ابراهيم الامام لقى رجالا من شيعة على رضوان الله عليه ، فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد على . وكتب إلى ثلاثة نفر ليعقد الأمر لأحدهم ، وهم جعفر بن محمد ، وعبد الله بن حسن ، وعمر بن على بن الحسين ودفع الكتب إلى رجل ، وامره أن يلقى جعفراً بَدِيًّا[1] فان قبل ما كتب به مزق الكتابين ، وإن لم يقبل لقى عبدالله بن حسن ، فإن قبل مزق الكتاب الثالث وإن لم يقبل لقي عمر بن على ، فقدم الرسول المدينة ، فأوصل كتاب جعفر بن محمد إليه فأحرقه فى السراج ولم يقرأه وقال الجواب ما رأيت ، فلقى عبد الله بن الحسن فقبل الكتاب ، فحذره جعفر بن محمد فلم يحذر وأشار عليه أن لا يفعل ، واعلمه أن أهلَ خراسان ليسوا بشيعة ، وأن أبا سلمة ، مخدوع مقتول وارتاب أهل خراسان بأبى سلمة وتكلموا وقالوا يا أبا سلمة مالك خرجنا من قعر خراسان ولا إليك دعونا ، وما أنت لنا بإمام ؟ فهم فى ذلك معه إذ خرج محمد بن ابراهيم الحميرى ويكنى أبا حميد السمرقندى يريد الكباسة[2] فلقى سابقا الخوارزمى وهو غلام كانوا أهدوه لابراهيم الامام — فسأله أبو حميد عن الخبر فأخبره ، وصار إلى أبى العباس وأهل بيته فلما دخل أبو حميد عليهم سأل عن ابراهيم

---

١) هكذا فى الاصل أى أول من يلقى والصواب بدءا

٢) فى الاصل الكباسة بالباء المعجمة ولعل الصواب الكناسة كما فى ياقوت

الامام تخبر بوفاته فعزاهم عنه وسألهم عن ابن الحارثية ، فأشاروا إلى أبى العباس ، فسلم عليه بالخلافة وقبل يده ورجله وبايعه ، وسألهم عن سبب مقامهم هناك ، فأعلموه أن أبا سلمة أنزلهم تلك الدار نحوا من شهرين ، وأعلم أبا الجهم وموسى بن كعب ومحمد بن صول وسلم ابن محمد ونهار بن حصن وصاروا جميعا إلى أبى العباس ومعهم أصحابهم فى السلاح فبايعوه

وأمر أبو الجهم أبا حميد أن يحجب الناس ، وبلغ الخبر أبا سلمة فركب فى أصحابه فأغلق الباب دونه ، فاستفتحوا أصحاب أبى سلمة الباب ، وقالوا وزير آل محمد ، فأسمعوه بعض مايكره ، فقال أبو حميد افتحوا له حتى يريه الله ما يرغم أنفه فدخل فاستقبل القبلة فسجد ثم سلم وقبل يد أبى العباس وقدميه وبدأ فى اعتذار ، فقال له أبوالعباس عذرناك ياأبا سلمة غير مُفَنَّد ، وحقك لدينا معظم ، وسابقتك فى دولتنا مشكورة ، وزلتك مغفورة ، انصرف إلى معسكرك لا يدخله خلل ، فانصرف إلى معسكره بحمام أعين .

وكانت مدة تقليد أبى سلمة الأمور منفردا بها ، إلى أن ظهر أمر الشيعة شهرين ونصفا .

وكان خالد بن برمك فى عسكر قحطبة يتقلد خراج كل ما افتتحه قحطبة من الكور . وتقلد الغنائم ، وقسمها بين الجند ، فكان يقال إنه ما أحد من أهل خراسان إلا ولخالد عليه يد ومنة ، لأنه قسط الخراج فأحسن فيه إلى أهله

وكان مع قحطبة حيث قتلَ ابنَ ضباره فغُلط برأسه ، فوجه قحطبة إلى أبى مسلم بِغير رأس ابن ضبارة ، ثم عرف رأسه بنقش خاتمه . فأراد قحطبة أن يوجه به فمنعه خالد بن برمك بصحة رأيه ، وقال إن فعلتْ ذلك أبطلت الأول والثانى

وكان لخالد فيما ذكر عبد الملك بن صالح وحكاه أيضا صالح صاحب المصلى فى يوم ابن ضبارة رأى وفطنة استحسنا ، وهو ان خالدبن برمك كان على سطح

من سطوح قرية قد تولوها مع قحطبة بن شبيب وهم يتغدون حتى اقبلت اقاطيع الوحش من الظباء والبقر ، فخالطت العسكر فقال خالد لقحطبة يا ايها الأمير قد أتينا فمر من ينادى بالسلاح، فعجب قحطبة منه فقال لاتتشاغل بكلامى وأمر بالنداء ، فنادى بالسلاح وأضلهم ابن ضبارة فى عسكره، وكان من امرهم ما كان فلما انقضت الحرب سئل عن السبب فيما قاله ، فقال رأيت الوحوش قد خالطت العسكر ، ومن حكمها ان تنفر عنه ، فعلمت أنها لم تخالطه إلا لشيء وراءها أعظم مما دخلت فيه .

أيام أبي العباس السفاح

ولما عقدت البيعه لأبى العباس حضر خالد بن برمك لمبايعته، فرأى فصاحته توهمه من العرب ، فقال له ممن الرجل؟ فقال له مولاك خالد بن برمك، وقص عليه قصته وقال أنا كما قال الكميت بن زيد

فمالى إلا آلُ أحمد شيعةٌ   ومالى إلا مَشْعَبُ الحقِّ مشْعَبُ

فأعجب به أبو العباس، وأقره على ما كان يتقلد من الغنائم ، وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند، وكثر فيه حامده ، وحسن أثره

وكان سبيل مايثبت فى الدواوين أن يثبت فى صحف ، فكان خالد اول من جعله فى دفاتر، فخص بأبى العباس وحل محل الوزير، ودفع أبو العباس ابنته ريطة إلى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته ام خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تدعى أم يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبى العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطة ، فقال أبو العباس يوما لخالد بن برمك لم ترض يابن برمك حتى استعبدتنى ، فوجم من ذلك، وقال أنا عبد أمير المؤمنين ، فقال له كانت ريطة وأم يحيى فى فراش واحد، فتكشفتا فرددت عليهما اللحاف فقبل يده وشكر له ، ولم يزل على منزلته عنده إلى أن توفى أبو العباس .